رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقالات السلفية

في

العقيدة والدعوة والمنهج والواقع

كتبه
فضيلة الشيخ أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي الأثري
كان الله له، وعفا عنه بمنه وكرمه

الكتاب و السنة
على فهم السلف الصالح
مكتبة الفرقان
تليفون: ٠٦-٧٤٤٤٣٥ / فاكس: ٠٦-٧٤٢٤٠٩٤
ص.ب: ٢٠٢٨٨ - عجمان - ا.ع.م.
E-mail: furqan1@emirates.net.ae
www.furqana1salafia.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقالات السلفية
في
العقيدة والدعوة والمنهج والواقع

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

مكتبة الفرقان

الفرع الرئيسي

الإمارات العربية المتحدة - عجمان - ص.ب: ٢٠٢٨٨

هاتف: ٩٧١٦٧٤٤٤٤٣٥.. فاكس: ٠٩٧١٦٧٤٢٤٠٩٤..

- فرع الشارقة: هاتف وفاكس: ٠٩٧١٦٥٦٣٦٣٣٦..
- فرع المدينة المنورة: شارع الملك عبدالعزيز النازل الجوال: ٠٥٢٥٩١٤٦٧.
- فرع مصر: القاهرة - عين شمس - هاتف: ٠١٠٥٦١٨١٧٩

موقع المكتبة على شبكة الإنترنت: www.furqanalsalafia.com

E-mail : furqan1@emirates.net.ae

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقالات السلفية

في العقيدة والدعوة والمنهج والواقع

كتبه
فضيلة الشيخ أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي الأثري
كان الله له، وعفا عنه بمنه وكرمه

مكتبة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فاتحة القول

إن الحمد للَّه؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللَّه؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن نعمة العلم جلّى، فمن أصابها وعمل بمقتضاها؛ فقد أصابه خير عظيم، وأعلاه ما اتصل بالعقيدة والدعوة والمنهج والواقع؛ لأنه يؤدي إلى ارتباط المسلم بربه ودينه ورسوله ﷺ وأمته.

وقد منَّ اللَّه عليّ؛ فكتبت -على فترات- عدداً من المقالات، ونشرت -وقتئذ- في بعض الصحف الإسلامية والمجلات العلمية، وكان لها -بحمد اللَّه- في نفوس كثير من أهل العلم وطلابه جميل الوقع وعظيم الأثر، وقد سألني أخوة مُحِبّون منهم؛ لا يسعني مخالفتهم: أن أختار من بينها منظومة في العقيدة والدعوة والمنهج والواقع؛ فأجعلها في كتاب مستقلّ حفظاً لها، وتقريباً لمن لم يدركها؛ ليلحق بها من لم يكن يطالع تلك الصحف والمجلات، فلما اطمأننت إلى هذا الأمر -يقيناً- وقع اختياري على ما أقدمه اليوم لأمتنا الإسلامية ودعوتنا السلفية المباركة؛ لتكون للدعاة نبراساً، ومعالم هدى في طريق الحق وعليها، وسميتها: «**المقالات السلفية في العقيدة والدعوة والمنهج والواقع**».

وأرجو اللّه أن يتقبلها بقبول حسن، ويدّخر لي ثوابها إلى يـوم لقائـه؛ يـوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم.

وكتبه

أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي الأثري

منتصف ذي القعدة ١٤٢١هـ

عمان البلقاء عاصمة جند الأردن

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

خذوا الإسلام جملة

الإسلام دين متكامل، ومنهجٌ ربّانيٌّ لا تنفصم عراه إلا على سبيل المغضوب عليهم والضالين: الذين يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض الكتاب، ومن ذلك مقولة مرذولة غير معقولة ولا مقبولة؛ ابتدعها من قَصَّرَ عن إدراك مقاصد الشرع فهمُه، وانحط إلى الإحداث في الدين علمُه؛ لأنهم جمدوا على ما أفادوه في بواكير الصِّبا دون رغبة فيه؛ فَرَضُوا بضحضاح من المعرفة، فكان نصيبهم من بحر العلم نُغْبَة[1]، فلم يستطيعوا التحليق في سماوات الإفادة بأجنحة من علم غزير، ولم ينالوا التوفيق في مدارك الإجادة بإدراك بصير.

تلكم هي: بدعة تقسيم الإسلام إلى «قشر ولباب»، أو «كليات وجزئيات»، أو «شكل ومضمون»، أو «أصول وفروع»؛ فتراهم -على وَجْه ما- لا يهتمون بشعائر اللَّه الظاهرة؛ لأنها في زعمهم شكليات أو قشور، وَيَتَّهِمون المتمسك بها بـ«الإغراق في الجزئيات»! والداعي إليها بـ«إثارة الخلافات»!! وتراهم يُمَيِّعون كلّ قضية تطرح للتحقيق العلمي بدعوى أنها فرعية، أو أنها مختلف فيها لدى الأمة الإسلامية.

وهذا التصور ليس له زمام أو خطام في دين الإسلام؛ يَدُلُّكَ على ذلك عدة أمور:

١- آيات قرآنية صريحة:

قال -تعالى-: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السّلم كافة﴾ [البقرة: ٢٠٨].

---

(١) ما يشربه الطائر إذا أدخل منقاره البحر؛ فلينظر بم يرجع!!.

قال الإمام ابن كثير -رحمه اللَّه-: «يقول اللَّه -تعالى- آمراً عباده المؤمنين به المصدِّقين برسوله: أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره، ما استطاعوا من ذلك».

ثم نقل أقوال السلف، وقال: «والصواب: وهو أنهم أُمِرُوا كلّهم أن يعملوا بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام، وهي كثيرة جداً ما استطاعوا منها»[(١)].

قلت: لأن الخطاب موجه لهم للدخول في السِّلم، وهو الإسلام؛ كما قرَّره شيخ المفسرين: ابن جرير الطبري[(٢)]، وذهب إليه جلّة علماء التفسير؛ كالقرطبي[(٣)]، وابن الجوزي[(٤)]، والآلوسي[(٥)]، والبغوي[(٦)].

وبعد أن دعا اللَّه المؤمنين للدخول في الإسلام، وأن يأخذوه جملة، حذّرهم من اتباع خطوات الشيطان: ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدوّ مبين﴾ [البقرة: ٢٠٨] للدلالة على أنه ليس هناك سوى اتجاهين فقط:

إما الدخول في الإسلام كافة بشموليته وكماله.

وإما اتباع خطوات الشيطان حيث يأمر بالتفريق بين شعائر اللَّه، والاستخفاف بحرمات اللَّه.

٢- أحاديث نبوية صحيحة؛ وهي على أنواع:

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٢٥٥).

(٢) «جامع البيان في تفسير القرآن» (٢/ ١٨٨).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٣/ ٢٢-٢٣).

(٤) «زاد المسير» (١/ ٢٢٤-٢٢٥).

(٥) «روح المعاني» (٢/ ٩٧).

(٦) «معالم التنزيل» (١/ ١٨٣).

أ- أحاديث تبيِّن ارتباط الأمور التي يعدّونها فرعية بالأجر العظيم، والمقام الكريم، والنعيم المقيم:

عن أبي هريرة -رضي اللَّه عنه- أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إذا قال الإمام: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ [الفاتحة: ٧]؛ فقولوا: آمين؛ فإنه من وافق قوله قولَ الملائكة غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه»[١].

ب- أحاديث تَعُدُّ الأمور التي يحسبونها فرعية من أركان العزّة وبقاء هذا الدين ظاهراً:

عن أبي هريرة -رضي اللَّه عنه- أن رسول اللَّه قال: «لا يزال الدين ظاهراً ما عجّل الناس الفِطْر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون»[٢].

ت- أحاديث تبين أن الرسول ﷺ لم تشغله القضايا المصيرية عن هذه الأمور التي يضعونها في باب الأمور الفرعية:

عن زيد بن خالد الجهني، عن أبي طلحة الأنصاري، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب، أو تماثيل».

قال: فأتيت عائشة؛ فقلت: إن هذا يخبرني أن النبي ﷺ قال: (وذكره) فهل سمعت رسول اللَّه ﷺ ذكر ذلك؟.

فقالت: لا، ولكن سأحدثكم ما رأيته فعل؛ رأيته خرج في غزاته؛ فأخذت نمطاً[٣]؛ فسترته على الباب، فلما قدم؛ فرأى النمط، عرفت الكراهة[٤] في وجهه؛

---

(١) متفق عليه.

(٢) حسن- أخرجه أبو داود وغيره.

(٣) ثوب من صوف ملون يطرح على الهودج.

(٤) الكراهة في مصطلح السلف الصالح تعني -غالباً-: التحريم.

فجذبته حتى هتكته، أو قطعته، وقال: «إن اللَّه لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين»[١].

٣- فتاوى أهل العلم قديماً وحديثاً في بيان بطلان هذا التقسيم المبتدع والتصنيف المخترع.

ولعل من أوضحها وأقومها فتوى الشيخ عز الدين بن عبدالسلام -رحمه اللَّه- القائل: «لا يجوز التعبير عن الشريعة بأنها قشر، مع كثرة ما فيها من المنافع والخيور، وكيف يكون الأمر بالطاعة والإيمان قشراً؟! وأن العلم الملقب بالحقيقة جزء من أجزاء علم الشريعة، ولا يُطلق مثلَ هذه الألقاب إلا غبيٌّ شقيٌّ قليلُ الأدب.

ولو قيل لأحدهم: إن كلام شيخك قشور؛ لأنكر ذلك غاية الإنكار، ويطلق لفظ القشور على الشريعة (!).

وليست الشريعة إلا كتاب اللَّه وسنة رسوله؛ فيعزر هذا الجاهل تعزيراً يليق بمثل هذا الذنْب»[٢].

وهذا واضح في وجوب أخذ الإسلام جملة بكماله وشموليته التي استوعبت حياة الفرد والجماعة، ولم تَدَع صغيرةً ولا كبيرة في ذلك إلا أحصتها؛ ليكون البناء شامخاً، والأصل راسخاً بتوفيق اللَّه وفضله[٣].

---

(١) أخرجه مسلم وأصحاب السنن وأحمد.

(٢) «الفتاوى» (ص٧١-٧٢).

(٣) وانظر -لزاماً- كتابي: «دلائل الصواب في إبطال بدعة تقسيم الدين إلى قشر ولباب»، وهو مطبوع متداول.

تكميل لكل نبيل:

وقد بنى على هذه القسمة الضيزى -أعني: تقسيم الدين إلى قشر ولباب- بعض رؤوس الأحزاب الإسلامية -كالشيخ حسن البنا- قواعد هزيلة تسوّغ تفرّق الأمة الإسلامية، وتؤصّل ما قامت به جماعته؛ وهو: الاستقطاب في التنظيم، فقال: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه»[1]، وأصبحت هذه القاعدة كتاباً محكماً يتلى عند أتباعه!! يعارضون بها كل دعوة للاجتماع على كلمة سواء، أو بيان سني لأهل الأهواء.

ولو طُبِّقت هذه القاعدة؛ لنُقِضَت عرى الإسلام عروة عروة؛ للوجوه الآتية:

١- أن الاختلاف وقع حتى في الأصول والعقائد، ولذلك تفرقت الأمة فِرَقاً، وتشتت إلى جماعات وأحزاب، فالذي يعذر هؤلاء في اختلافهم وتفرقهم يكون مقرّاً لما نهى الله عنه، وذمّه، وحذر منه!!.

وهذا باب خبيث من الإرجاء -عياذاً بالله-[2].

٢- أن هذه القاعدة منبتة؛ ليس لها صلة بالكتاب والسنة وفهم سلف الأمة من الصحابة، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، بل كان منهج السلف نقيضها.

---

(١) أول من وضع هذه القاعدة الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- وسموها: القاعدة الذهبية.

ثم رأى محمد رشيد رضا أن هذه قاعدة فاسدة، فتبرأ منها... ولكن حسن البنا تلقفها وكان يدندن حولها.

وقد وضعت هذه القاعدة الفاسدة؛ للتقارب مع الشيعة!!

(٢) وانظر -لزاماً-: «مجموع الفتاوى» (٢/ ٤٦٦-٤٦٧).

٣- لو طبقنا هذه القاعدة؛ لانفتح باب شر كبير، وكان لزاماً: أن نعذر دعاة وحدة الوجود، والخوارج التكفيريين، وشارب النبيذ الذي لا يحرم إلا الشربة الأخيرة، ومن تزوج متعة، والذي يطوف حول القبور، ويتوسل بالأولياء، ويعطل الصفات، ويقول بالجبر، وينفي رؤية اللَّه... إلخ.

وعندما طبّق أتباع صاحب هذه المقولة المرذولة ما قاله صاحبهم أقرّوا كلَّ ما سبق ذكره، واعتذروا لأصحابها بأعذار باردة أقبح من أفعال من اعتذر لهم، وذبّوا عنهم.

٤- وثمرة هذه القاعدة عكس مراد صاحبها؛ لأن من وُكِلَ إلى نفسه كان كسبه في تدمير تدبيره، ونقض أمله وتفكيره، فإن مراد قائلها: هو حسم مادة الخلاف بين أهل القبلة، ولكن الواقع يشهد أنها كانت سبباً في زيادة التفرق والاختلاف وانقسام المذاهب والملل والنحل.

وقد أفتى أهل العلم المعاصرون ببطلانها، وبيّنوا تناقضها؛ كما نقله الأخ الدكتور حمد العثمان -حفظه اللَّه- في كتابه القيم: «**زجر المتهاون بضرر قاعدة المعذرة والتعاون**» (ص١٢٣-١٣٣)؛ فانظره غير مأمور.

الإسلام منهاج ومعجزة

إن الشريعة الإسلامية والملَّة الحنيفية لا ينال كمالها سحر بيان، ولا يحيط حسنها وصف لسان، وحسبها عُلُوّاً أن العقول السليمة والفطر المستقيمة لن تستطيع أن تقترح فوقها أو مثلها ولو اجتمعت في صعيد واحد، وكانت على أكمل عقل منهم، وأعمق فهم فيهم، وأنضج تجربة لهم.

والعقول المستسلمة لمنهج اللَّه ذللاً، والتي لا تبغي عنه حولاً، ولا ترضى به بدلاً؛ تدرك محاسن الإسلام وحكمته جملة؛ لأن اللَّه -سبحانه- أجرى شريعته موافقة لما ركَّب في عقول عباده من استحسان الحسن واستقباح القبيح على الجملة، وما جُبل في طباعهم من إيثار النافع لمعيشتهم، المصلح لشأنهم، على الضار لهم، المفسد لحياتهم.

قال الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه اللَّه-: «وأما تفاصيل أسرار المأمورات والمنهيات فلا سبيل إلى علم البشر به، ولكن يطلع اللَّه من شاء على ما شاء منه، فاعتصم بهذا الأصل».

ومن أدق محاسن الإسلام وأعلاها ما دلّ على عالميته، وَيُعَدُّ سبباً لخلوده:

إنه الشاهد والمشهود له، والحجة والمحتج له، والدعوى والبرهان؛ فالخوارق -عادة- مغايرة للوحي الذي يتلقاه الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، وتأتي المعجزة شاهدة ناطقة بصدقهم، ومعجزات الرسل الذين ذكروا في القرآن تختلف عن الوحي الموحى إليهم:

فمعجزة موسى -عليه الصلاة والسلام-: اليد والعصا، وباقي الآيات التسع، ومنهاجه التوراة.

وكذلك عيسى -عليه الصلاة والسلام- معجزته: إحياء الموتى، وإشفاء الأكمه والأبرص، وأن يجعل من الطين كهيئة الطير؛ فينفخ فيه؛ فيصير طائراً، كلها بإذن الله، ومنهاجه الإنجيل.

بينما رسول الله ﷺ معجزته: القرآن الكريم، ومنهاجه: القرآن الكريم، إذن؛ فالقرآن الكريم دلالته في نفسه لا يفتقر إلى غيره من الأدلة الخارجية؛ فهو أوضح دلالة، وأعمق أثراً؛ لكونه الدليل والمدلول عليه؛ فهو برهان قائم بذاته.

وقد أشار الصادق المصدوق ﷺ إلى هذه الحقيقة الدقيقة:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء من نبي، إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[1].

لقد فرق الإسلام بين عهدين من عهود البشرية:

عهد المعجزات التي تخرق الناموس الكوني، وتنتهي بانتهاء زمانها.

وعهد المعجزة الخالدة التي تساير نظام الحياة، وتخاطب العقل، وتوجه الحديث لأولي الألباب والنهى.

ونحن -معشر المسلمين- نؤمن بتلك المعجزات -التي لم نرها- عن طريق القرآن الكريم الذي نؤمن بما جاء فيه جملة وتفصيلاً؛ فأمر القرآن ذو بال، وشأنه عظيم؛ فهو برهان بذاته، حجة على غيره، دليل له، لذلك كان مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل، ومهيمناً عليه.

وترجع هذه الحقيقة الدقيقة إلى أمرين:

أولهما: أن القرآن الكريم كلام الله، منه بدأ، وإليه يعود:

---

(١) متفق عليه.

عن حذيفة بن اليمان -رضي اللَّه عنه- قال رسول اللَّه ﷺ: «يَدْرُسُ الإسلام؛ كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة؟ ويُسرى على كتاب اللَّه في ليلة؛ فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس؛ الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، يقولون: لا إله إلا اللَّه؛ فنحن نقولها»(١).

آخرها: أن اللَّه -عز وجل- لم يترك حفظ الإسلام -قرآناً وسنة- للبشر؛ لأنهم جُرِّبوا في المناهج السابقة؛ فحرفوا الكلم عن مواضعه من بعد ما عقلوه تحريفاً أبطل مهمة منهج اللَّه فيها؛ لذلك تعهد اللَّه بحفظ دينه:

قال -تعالى-: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ١٠]، وكفى باللَّه حفيظاً.

فهلا أخذت الأمة الإسلامية كتاب ربّها بقوة واعتزاز، وعضّت على سنة نبيها ﷺ بالنواجذ؛ لتعود خير أمة أخرجت للناس؛ لأن الدين متى كان بهذه المنزلة من الوضوح وقوة الدّلالة كان المُصَدِّق به أكثر، وأثره في الحياة أكبر.

وأمة الإسلام أكثر الأمم تصديقاً بنبيها؛ ولذلك؛ فإن رسولها أكثر الرسل تبعاً يوم القيامة، وأمته أكثر أهل الجنة؛ كما أخبر بذلك ﷺ: «والذي نفسي بيده لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة»(٢).

---

(١) صحيح- أخرجه ابن ماجه والحاكم وغيرهما.

(٢) أخرجه مسلم.

مراحل تدوين العقيدة

منذ أن بعث اللَّه -جلّ جلاله- رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق بقي عماد مسائل الإيمان والتوحيد قائماً على الآيات القرآنية والسُّنة النبوية الصحيحة، وكان هذا منهج الإسلام في غرس جذر الإيمان في قلوب الرجال حيث يعرضه عليها عرضاً كله سهولة ويسر؛ فيسترعي النظر إلى ملكوت السماوات والأرض، ويوقظ عقلولهم في التفكير في آيات اللَّه، وينبه فطرتهم إلى ما نقش فيها من تديّن وإحساس بعالم الغيب.

وعلى هذا المسار مضى رسول اللَّه ﷺ متعهداً صحبه بالتربية حتى أخرج الزرع شطأه؛ فآزره؛ فاستغلظ؛ فاستوى على سوقه، واستطاع رسول اللَّه ﷺ أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن اللَّه، ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد.

عن حذيفة بن اليمان -رضي اللَّه عنه- قال: حدثنا رسول اللَّه حديثين رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر:

حدثنا: «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة...» الحديث[1].

كان القرآن الكريم والسّنّة الصحيحة هما المورد العذب الزلال والمنهل الصافي الرقراق الذي تضلع من سلسبيله النمير جيل القدوة الأول وقرن الأسوة الأمثل: محمد والذين معه؛ فتفقهوا عليه، وتخرجوا به.

---

(١) متفق عليه.

ولم يكن ذلك لخلو جَعبَة البشرية -يومئذ- فكرياً وحضارياً... كلاّ؛ فهناك فلسفة الإغريق، وقوانين الرومان، وفنون الفرس، وأساطير الهنود، وبقايا أهل الكتاب.

عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض الكتب، قال: فغضب، وقال: «أمتهوّكون فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية»[1].

ثم كان الاتصال بمذاهب الأقدمين، وأساطير السابقين، واهتمام العقل فيما ليس له فيه مجال، سبباً في العنود عن منهج القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ كما كان سبباً في تحويل الإيمان من يسره وسموه إلى قضايا فلسفية، وأقيسة عقلية، ومناقشات كلامية، فلم يَعُد الإيمان الذي تزكو به النفوس، ويصفو به العمل، وتنهض به الأمة، ويحيى به المجتمع؛ فانقسمت الأمة شيعاً وأحزاباً؛ كل حزب بما لديهم فرحون.

وسمُّوا علم التوحيد ومسائل الإيمان بـ«علم الكلام» ظلماً وزوراً؛ لأن «علم الكلام» إنما هو محض عقول لم تُقَوَّم بمنهج الرسول ﷺ، وإنما قوّمت برأي جَهْم بن صفوان، وطريقة بِشْرِ بن غِيَاث المَرِيسِيِّ، ومنهج واصل بن عطاء، المستمدة آراؤهم من طريقة أهل الكتاب، ومن رأي عبّاد الكواكب، الذين فتنوا به المؤمنين والمؤمنات عن مراد الله ورسوله ﷺ.

وخَلَفَت خُلوفٌ: فترت هممهم، وضعفت عزائمهم، فلا يفكرون إلا بعقول غيرهم؛ فعكفوا على ما ألقاه إليهم علماء الكلام وأهل الرأي في العقيدة المبنية

---

(١) حسن بشواهده؛ كما بيّنه شيخنا أسد السنة الألباني -رحمه الله- في «ظلال الجنة في تخريج السنة» (٥٠).

على الفلسفة الإغريقية والمنطق اليوناني، وجمدوا على ما فيها، وهو على هذا المعنى؛ يدرّس اليوم في مدارس المسلمين ومعاهدهم وجامعاتهم[١].

ثم شاء اللَّه أن ينهض من بين هذا الزحام أفراد من العلماء الأعلام: ينفون عن عقيدة الإسلام تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؛ فكانوا أشد الناس تنفيراً من الكلام وأهله، ولخص موقفهم في ذلك الإمام الرباني أبو عبداللَّه محمد بن إدريس الشافعي -رحمه اللَّه-؛ فقال: «لأن يبتلي العبد بكل ما نهى اللَّه عنه سوى الشرك، خير له من الكلام، ولقد اطلعت من أصحاب الكلام على شيء ما ظننت أن مسلماً يقول ذلك»[٢].

واتفق السلف الصالح على ذلك، فقال البغوي -رحمه اللَّه-: «واتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال والخصومات والصفات، وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام وتعلمه»[٣].

وكانت هذه ميزة للمنهج السلفي؛ فهذا مؤرخ الإسلام الحفظة الإمام الذهبي ينقل مقولة الحافظ الدارقطني: «ما شيء أبغض إلي من علم الكلام»، ثم يقول: «لم يدخل الرجل -أبداً- في علم الكلام ولا جدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفياً»[٤].

وصنف أئمة السلف في مسائل العقيدة تصانيف عديدة مفيدة، على منهج الكتاب والسنة في التلقي والاستدلال؛ فسموها بـ«الإيمان»، و«التوحيد»، أو

---

(١) إلا ما رحم اللَّه من بلاد اللَّه؛ كبلاد الحرمين الشريفين.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي» (ص١٨٢) بإسناد صحيح.

(٣) «شرح السنة» (١/ ٢٢٦).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٤٥٧).

«السُّنّة»، أو «الشريعة»؛ مثل «الإيمان» لابن أبي شيبة، و«الإيمان» لأبي عبيد القاسم ابن سلاّم، و«الإيمان» لابن منده، و«الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«السنة» لعبدالله بن أحمد، و«صريح السنة» للطبري، و«أصول السنة» للإمام أحمد بن حنبل، و«شرح السنة» للبربهاري، و«التوحيد» لابن خزيمة، و«التوحيد» لابن منده، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي، و«الإبانة»: الكبرى والصغرى لابن بطة، و«الشريعة» للآجري -رحمهم الله جميعاً-.

وبرهن هؤلاء الأئمة أن الخير كلَّه في الاتباع، والشَّرَّ كله في الابتداع؛ فكان الفهم العميق للإسلام رائدهم، واتباع سبيل المؤمنين منهجهم، فكان عملهم سياجاً حمى العقيدة من شرٍّ أُريدَ بها.

ثم جاء قوم[1] زعموا: أن في أسلوب كتب العقيدة جفافاً؛ لأنه نصوص وأحكام(!) ولهذا أعرض معظم الشباب عنها، وزهدوا بها(!!).

---

(١) أمثال المدعو «محمد سرور بن نايف زين العابدين» في كتابه: «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله» (١/ ٨) حيث قال: «نظرت في كتب العقيدة، فرأيت أنها كتبت في غير عصرنا، وكانت حلولاً لقضايا ومشكلات العصر الذي كتبت فيه -رغم أهميتها ورغم تشابه المشكلات أحياناً- ولعصرنا مشكلاته التي تحتاج إلى حلول جديدة، ومن ثم فأسلوب كتب العقيدة فيه كثير من الجفاف؛ لأنه نصوص وأحكام؛ ولهذا أعرض معظم الشباب عنها وزهدوا فيها.

وفي المقابل فلقد أعجبني أسلوب القرآن الكريم؛ لأن عرض قضايا الاعتقاد جاء فيه من خلال عرض سيرة الأنبياء وجهادهم في سبيل الله ضد المشركين.

مثال: الأصنام: في كتب العقيدة تقرأ معنى الصنم لغة وشرعاً، وأنواع الأصنام، وأدلة حرمتها من الكتاب والسنة، وأقوال العلماء، وكل ما يثبت شركية الاعتقاد بها.

أما الحديث عن الأصنام في القرآن فله شأن آخر، فأنت تعرف كل ما جاء في كتب العقيدة من خلال حوار النبي مع قومه، فتارة بين لهم تفاهة الصنم لأنه لا يضر ولا ينفع، وتارة يحطم أصنامهم -كما فعل إبراهيم عليه السلام- وتارة ثالثة تشدك جرأة النبي، وقوة حجته، وثباته على الحق رغم إصرار قومه على قتله، كل ذلك يتم بأسلوب (حركي) واقعي جذاب»!!.

= من هو محمد سرور؟

وما هي جماعته؟

وما هي أهدافه؟

أ- نشأ محمد سرور في محاضن الإخوان المسلمين السوريين، وتعصب لهم وقلدهم تقليداً حزبياً أعمى.

قال في «سنته» -التي ليس لها من اسمها نصيب- (عدد٣٥ ص٦٨): «فالصنف الأول في سورية جماعة الإخوان المسلمين، وكان يقود هذه الجماعة الدكتور مصطفى السباعي -رحمه الله- وهو في علمه ووعيه وجهاده من الشخصيات القليلة النادرة في العالم الإسلامي».

وقال (ص٣٠): «وأنا اليوم أحب شيخنا السباعي -رحمه الله-، وأقدر علمه وفضله وجهاده، ولكن أحبه حباً عن علم ومعرفة، وأعرف أن له اجتهادات خاطئة، وكنت أحبه حباً حزبياً أعمى، وأغالي في هذا الحب».

فمحمد سرور يشهد على نفسه بنفسه: أنه إخواني النشأة، حزبي النظرة، وإن حاول أن يلبس على أتباعه بأنه انتقل من التقليد الحزبي الأعمى إلى العلم والمعرفة... ولكنها حزبية مُغَلَّفَةٌ أيضاً، ولذلك عندما أقر بأخطاء شيخه أجمل ولم يفصل!! والإجمال سنة الحزبيين... فلم يبين أن شيخه كان داعياً للتقارب مع النصارى، وإلى اشتراكية الإسلام، وأنه نظم قصيدة شركية، فيها الاستغاثة برسول الله ﷺ و...!!

فها هو يقول كما في كتاب «مصطفى السباعي رجل فكرة وقائد دعوة» (ص٩٣-٩٨): «فليس الإسلام معادياً للنصرانية بل هو معترف به مقدس لها، وأما توهم الانتقاص من المسيحيين وامتاز المسلمين فاين الأمتياز؟ والإسلام يحترم العقائد جميعاً! أما في الحقوق المدنية والتساوي في الواجبات فالإسلام لا يفرق بين مسلم ومسيحي ولا يعطي للمسلم حقاً في الدولة أكثر من المسيحي والدستور ينص على مساواة المواطنين جميعاً في الحقوق والواجبات...

ثم اقترح أربع مواد:

١- الإسلام دين الدولة الرسمي.

٢- الأديان السماوية محترمة ومقدسة.

٣- الأحوال الشخصية للطوائف الدينية مصونة ومرعية.

=

= ٤- لا يحال بين المواطن وبين الوصول إلى أعلى مناصب الدولة بسبب أو الجنس أو اللغة».

أليست هذه العلمانية بكل مقوماتها وأبجدياتها ... فأين محاربة العلمانية والتصدي لمدها وفضح دعاتها؟!

ب- وفي عام (١٩٦٩م) تَفَتَّتْ جماعة الإخوان المسلمين في سورية وكان للميول الفكرية أثرها في ذلك؛ فجماعة حلب وحماة كان لها اتجاه صوفي؛ فصاروا مع عبدالفتاح أبي غدة، وهذا اتجاه الشيخ حسن البنا، ولذلك استمروا مع التنظيم الدولي لجماعة الإخوان المسلمين.

وجماعة دمشق لها اتجاه قطبي ولذلك صاروا مع عصام العطار، وكان محمد سرور مع هذا الاتجاه.

ت- ثم انتقل محمد سرور إلى السعودية للعمل هناك، وبدأ نشاطه القطبي وبخاصة في منطقة القصيم، واستطاع أن يكوِّن له أتباعاً كثيرين في كلٍّ الأجهزة وأسس جمعيات حزبية تحت شعار العمل الخيري والنفع العام... ومن ثم انتقل إلى الكويت وهناك عمل تنظيماً مع سيد عيد -أحد كبار الإخوان، وكان مسجوناً مع سيد قطب- ثم اختلفوا، وأسس كل واحد منهما جماعة مستقلة، وتعاون في الكويت مع الشيخ حسن أيوب وغازي التوبة، وكلهم من الإخوان المسلمين، ثم فرّخوا أحزاباً جديدة يشنع كل منهم على الآخر، ويصفه بالكذب والنفاق!!

ث- ثم ترك محمد سرور بلاد المسلمين، واستوطن بلاد الكافرين في (بريطانيا) وجلس بين أنياب الأفعى زاعماً أنه يريد قطع ذيلها في بلاد العرب المسلمين، وأسّس هناك بتعاون مع ذراعه اليمين أبي أنس محمد العبدة وبعض أتباعه السعوديين «المنتدى الإسلامي» في لندن، وأصدر مجلة «البيان»، ثم مجلة «السنة».

مما سبق يتبين: أن محمد سرور إخواني قطبي(!).

ج- ثم أخذ محمد سرور يُصَدِّر القطبية تحت أسماء براقة «منهج أهل السنة والجماعة»، و«السلفية التجديدية»، و«السلفية الإصلاحيّة»!، و«السلفيّة الشرعيّة»! مما كان له أثر كبير في اغترار بعض الشباب المسلم الذي تربى على السلفية في الانضمام إلى جماعته التي عرفت بعد حرب الخليج الثانية بـ«السرورية».

ح- بدأ محمد سرور بإنكار وجود «السرورية» زاعماً أن هذا من اختراع خصومه!

=

= ومما ينبغي معرفته أنه لا يعاب على أهل العلم إطلاق اسم «السرورية» على جماعة محمد سرور؛ لأنّ كل جماعة بدعة تنسب إلى رأسها؛ فقد نسبت الجهمية إلى الجهم بن صفوان، والإباضية لعبدالله بن إباض، والقطبية لسيد قطب.

وأما أن ينكر محمد سرور أن له جماعة وتنظيماً؛ فهذا كذب له قرون، فقد اعترف هو نفسُه لأخينا الشيخ مقبل بن هادي الوادعي -حفظه الله، وعافاه- بذلك.

ومن كان معه، ثم فارق جماعته أقر بذلك؛ كعصام برقاوي التكفيري الملقب بأبي محمد المقدسي في رده على محمد سرور وجماعته!!.

وقد اعترف لي بذلك شخصياً في زياراته للأردن سنة (١٩٨٣م) عندما جاء ليطبع كتابه: «وجاء دور المجوس» بواسطة نظام سكجها صاحب المكتبة الإسلامية؛ فطلب محمد سرور (أبو عصام) من صاحب المكتبة الإسلامية أن يرتب له لقاءً معي، فعرفت مكره من يومئذٍ، وأنه واضع نصب عينيه اختراق الدعوة السلفية.

وسأفصل ذلك -إن شاء الله- في «الوجيز في تاريخ الدعوة السلفية المعاصرة في بلاد الشام العزيز».

بيان تلبيس القطبية السرورية:

أ-يقصد محمد سرور بكتب العقيدة التي فيها جفاف كتب العقيدة السلفية الصِّرْفة؛ كـ: «الشريعة» للآجري، و«الإبانة»: الكبرى والصغرى لابن بطة، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي، و«التوحيد» لابن خزيمة وابن منده، و«الإيمان» لابن منده ولأبي عبيد وابن تيمية، و«السنة» لعبدالله بن أحمد بن حنبل، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي للوجوه الآتية:

١- أن محمد سرور يدعي أنه سلفي العقيدة[1] (!)

(أ) انخدع بعض إخواننا بمجملات القطبيين حول الاهتمام بالتربية والعقيدة ودندنة شيخهم سيد قطب وأخيه محمد قطب حول تصفية الإسلام... ونسي هؤلاء أنها تربية وعقيدة الخوارج وأفراخهم من التكفيريين الثوريين!!

=

= ٢- كلامه عن الأصنام، والشرك، ومعاني لا إله إلا اللّه، وتوحيد الألوهية... فإن هذه مفردات كتب العقيدة السلفية.

٣- لا يمكن تصور أن محمد سرور يريد كتب العقيدة الخلفية كـ«النسفية»، و«السنوسية»، و«النظامية»، و«جوهرة التوحيد»؛ لأن خللها وعللها وراء ما ذكره بل إنها تقوم على الجوهر، والعرض، والجسم،والحد، والجهة وغيرها من مفردات علم الكلام المذموم.

٤- أنه وصف كتب العقيدة بأنها نصوص وأحكام ثم بين ذلك؛ فقال: «.. الأصنام في كتب العقيدة تقرأ معنى الصنم لغة وشرعاً، وأنواع الأصنام، وأدلة حرمتها من الكتاب والسنة وأقوال العلماء، وكل ما يثبت شركية الاعتقاد بها...».

هذه النصوص والأحكام؛ فهي جفاف؛ ولذلك أعرض عنها الشباب(!!).

إذاً؛ فالأدلة من الكتاب والسنة، والنصوص من أقوال العلماء التي تثبت حرمة الأصنام وشركية الاعتقاد بها جفاف؛ ولذلك أعرض عنها الشباب... لكنهم وقعوا في محاضن رؤوس البدعة الذين يُنَظّرون لهم بدون علم، ويفتونهم برأيهم؛ فضلوا وأضلوا(!!).

٥- ويأبى اللّه إلا أن يظهر تناقض هذا الرجل الدعي على العلم والسلفية؛ فإنه يقرر أن كتب العقيدة فيها جفاف وهي تقوم على الكتاب والسنة وأقوال السلف، ثمّ يدّعي أنه اتبع أسلوب القرآن، فقال: (١/ ٨): «لهذا اتبعت أسلوب القرآن...».

٦- إن أسلوب القرآن الكريم في نظر دعاة الفكر القطبي هو الأسلوب الحركي الذي دندن حوله سيد قطب في كتبه وبنى عليه نظريته في القرآن الكريم المسماة: «التصوير الفني في القرآن الكريم...»، وإليك مفرداتها:

١- اعتقاد أن الدين والفن صنوان؛ فهو يرى جواز التصوير اليدوي وما يرافقه من ريش ولوحات، ويقرر جواز العمل الموسيقي بأنواعه، ولقد استعان في كتابه: «التصوير الفني في القرآن الكريم» بأستاذين في الرسم والتصوير!

وانظر إليه في فصل التخييل الحسي والتجسيم (ص٧١-٧٢): حينما يقول: «التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن والقاعدة الأولى للبيان لا نكون قد انتهينا عن الحديث عن هذه الظاهرة الشاملة؛ فإن وراء ذلك بقية تستحق أن نفرد لها هذا الفصل الخامس».

= وقال (ص١٤٣-١٤٤): «والدين والفن صنوان في أعماق النفس وقراره الحس وإدراك الجمال الفني ودليل استعداد لتلقي التأثير الديني حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع وحين تصفو النفس لتلقي رسالة الجمال».

٢- انفلاته من العقيدة حيث قال في كتابه «التصوير الفني» (ص٢٥٥): «وأنا أجهر بهذه الحقيقة الأخيرة وأجهر بأنني لم أخضع لعقيدة دينية تغل فكري عن الفهم».

وقال (ص٢٥٨): «لم أكن في هذه الوقفة رجلاً تقيده العقيدة البحتة عن البحث الطليق بل كنت رجل فكر يحترم فكره عن التجديف والتلفيق».

٣- جعل سور القرآن وآياته خشبة مسرح تعرض عليها التمثيليات والسمفونيات وشاشة عرض سينمائية.

٤- انطلق من أصل الجهمية الذي وصفه شيخ الإسلام -رحمه الله-: «إنه ينبوع البدع»؛ وهو: الاستدلال على حدوث العالم بحدوث الأجسام، وحدوث الأجسام بحدوث الأعراض فقال: «الأجسام لا تنفك عن أعراض محدثة، وما لا ينفك عن الحوادث أو ما لا يسبق الحوادث؛ فهو حادث».

من هذه الأصول البدعية انطلق سيد قطب يفسر كلام الله تفسيراً جهمياً صوفياً[1]؛ فيقرر وحدة الوجود، وينفي الصفات الإلهية، ويطعن في صحابة رسول الله ﷺ ولكن بتلبيس وتدليس وتمويه... وإن خاله يخفى على الناس؛ فقد علموه ونقضوه بتوفيق الله... ثم يأتي محمد سرور ليقول: «أما الحديث عن الأصنام في القرآن؛ فله شأن آخر.. كل ذلك يتم بأسلوب حركي واقعي جذاب»(!!).

(أ) ولقد بينت ذلك بياناً كافياً في كتابي: «منهاج الاعتدال في نقد «تفسير الظلال» وبيان ما فيه من التصوف والرفض والاعتزال»، وسأدفعه إلى الطبع قريباً -إن شاء الله-؛ فاللهم يسر لي ذلك، وأعني عليه، واكفني الأعداء بما شئت وكيف شئت؛ إنك ولي ذلك والقادر عليه.

=

سبحان ربي(!) آلنصوص القرآنية والأحاديث النبوية فيها جفاف؟!.

= ب- أن ما وصف به محمد سرور كتب العقيدة السلفية سبقه إليه دعاة الإخوان المسلمين حينما زعموا: أن كتب الاعتقاد تدور حول مسائل تاريخية انقضى عصرها، وهي مثار الخلاف في هذا العصر، بل إن سيد قطب قرر تجاوز ميراث كل العصور لتصفية العقيدة!!.

ت- زعم محمد سرور أن الحلول التي قدمتها كتب العقيدة لمشاكل العصور التي كتبت فيها، وأما مشاكل عصرنا فلا تصلح لها، ولم يبين ما هي المشاكل التي مضت ولا تصلح لعصرنا وما هي مشاكل عصرنا التي لم تمر عليها كتب العقيدة؟!

لقد بينت كتب العقيدة السلفية مسائل الإيمان، والصفات، والقدر، والعبودية، وموالاة الصحابة، والإمامة الكبرى، والبيعة، والخروج، والحكم، هذه المسائل التي تتصل بحياة الأمة حتى أخرها؛ ولذلك لم يبق لمستدرك مجال.

إن مشكلة العصر عند هؤلاء القوم ما يسمونه «بالحاكمية» أو «سقوط الخلافة» و«التسلط الأجنبي» و«الكيد اليهودي»! وما علم هؤلاء القوم أن هذا كله ثمرة لتفرق الأمة واختلافها وانحراف فرقها عن منهج الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

هذه بعض ترّهات محمد سرور وشنشنته التي استطاع بزخرفتها أن يصطاد عدداً من الشباب الطيب المتحمس لدينه وأمته، وليضمن ولاءهم له ولجماعته القطبية أخذ يشوه صورة أهل العلم في أذهان هؤلاء الشباب، ويرميهم بكل نقيصة؛ فتارة لا يفقهون الواقع، وأخرى عبيد عبيد العبيد وسيدهم الأخير نصراني أمريكي في البيت الأبيض... كبرت كلمة تخرج من فيه إن يقول إلا إفكاً!!

وقد رد أهل العلم على هذه الكلمة السرورية التي تصف كتب العقيدة بالجفاف؛ فقال شيخنا الوالد العلامة عبدالعزيز بن باز -رحمه اللّه- في محاضرة بعنوان: «آفات اللسان» بتاريخ (٢٩/ ١٢/ ١٤١٣هـ) في مدينة الطائف: «هذا غلط عظيم، كلها جفاف! أعوذ باللّه، كتب العقيدة الصحيح ما هي جفاف، قال اللّه قال الرسول، فإذا كان يصف القرآن والسنة بأنه جفاف؛ فهذه ردة، هذه عبارة سقيمة خبيثة».

وعندما سئل شيخنا الوالد الإمام القدوة محمد ناصر الدين الألباني -رحمه اللّه- عن هذه العبارة -وأنا أسمع- قال: «وهل يقول هذا مسلم؟!».

نعم؛ هي كذلك عند القوم الذين لم يفهموا العقيدة إلا تكفير الحكام وتهييج العوام، أما الذي عاش مع الكتاب والسنة، ونهج سبيل السلف الصالح؛ فإنه يعلم أن الالتزام بمثل هذه الكتب هو استمرار لذلك المنهج السني النقي الذي بـه تُـدرك مقاصد الشرع، وتُعرف مدارك الأحكام.

إن فهم هذه المراحل التي مرت علـى العقيـدة؛ يعـين دعـاة الإسـلام الذيـن نهجوا سبيل السلف؛ في تحديد أسلوب تربية الأمة الإسلامية على العقيدة الإيمانية، حيث يتم تربية الأمة على كتاب ربها -عز وجل- وسـنة نبيهـا ﷺ ضـاربين بعلـم الكلام -قديمه وحديثه- عرض الحائط، ثم يتعلمون نقض الشبهات؛ وتفنيد عقـائد الكفر والإلحاد.

أما أن تعلم الناشئة نقض الاشتراكية الماركسـية، وتفنيـد المزاعـم الدارونيـة، وتهـافت العلمانيـة؛ دون أن يكـون عندهـم رسـوخ في عقيـدة الإسـلام الصافيـة وأدلتها، ومن غير أن يكون لديهم تصور بيِّن لمنهج السنة النبوية في حقيقـة الدعـوة إلى اللَّه؛ فهذا مزلق خطير، ولا ينبئك مثل خبير.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التوثيق عن الله ورسوله

يُوَجَّه إلى الدعاة إلى اللَّه -أحياناً- أسئلة فحواها تعليل الأحكام الشرعية، وهدفها تشكيك المسلم بربِّهِ؛ فيجنح بعضهم إلى استقصاء الحكمة التي أرادها الشارع الحكيم من وراء شرعه؛ كالمواقف التالية:

سؤال: لماذا حرم اللَّه لحم الخنزير؟.

جواب: لأنه يضر بصحة الإنسان؛ ففيه الدودة الشريطية، وفي لحمه كميات كبيرة من (الكوليوستيرول) الذي يساعد على تصلب الشرايين، وفيه هرمونات تقتل الغيرة في الإنسان؛ فيصبح ديوثاً يرضى الفاحشة في أهل بيته، وهذا يعلل لنا الفساد الأخلاقي العريض الذي تعيشه دول الغرب حالياً؛ كتبادل الزوجات، والزواج الجماعي، ويسبب آلام المفاصل، والروماتيزم؛ وذلك لأن نسبة حامض البوليك فيه كبيرة جداً.

شبهة: إذا استطاع العلم الحديث أن يقضي على الأمور التي ذكرتها؛ فهل يصبح لحم الخنزير حلالاً؟!

ودونك موقفاً آخر وإن كانت المواقف كثيرة، والشريط طويلاً، والسجل حافلاً، ولكنها نماذج قد تغني عن أي تعليق... مجرد إشارة إصبع... للذين أصيبوا بعمى الألوان... وفقدوا القدرة على التمييز.

سؤال: ما الحكمة من الوضوء؟

جواب: لأنه نظافة.

شبهة: كان العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ بدواً، يعيشون وسط صحراء مغبرة؛ فشرع الوضوء؛ لإزالة الأوساخ، ولكننا اليوم نعيش عصر الرفاهية

والنظافة؛ فيكفي الإنسان غسل وجهه ويديه ورأسه صباحاً، أما أن يتوضأ لكل صلاة إذا أحدث؛ فهذا أمر عسير.

... أمام هذا السيل الجارف من الشبهات يرتبك بعض الدعاة، وينهار آخرون، وينتبه من عصمة الله إلى مكر هؤلاء، وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال.

وإذا أردت أن تفحم جهيزة هؤلاء، فاعلم أن العبد إذا آمن بالله ورسوله واليوم الآخر كان لزاماً عليه أن يستسلم لما ورد عن الله ورسوله ﷺ؛ لأنها حقٌّ من حقٍّ؛ ومن أجل هذا لبث الرسول ﷺ أعواماً يركز الإيمان في النفوس؛ ويُعِدّها لما سينبثق عنه من أحكام لا تدع صغيرة ولا كبيرة في حياة الفرد والجماعة إلا أحصتها.

من حكمة الدعوة وفقهها: أن تدع الإنسان إلى الإيمان بالله ورسوله وكتابه أولاً، ثم قل له: قال الله، قال رسول الله ﷺ، قال أصحاب رسول الله -رضي الله عنهم-.

وكذلك من الخطأ: أن تعلل أمراً عقدياً أو حكماً شرعياً وقد آمنت بالله رباً له الخلق والأمر، وبمحمد رسولاً، وبالقرآن كتاباً، وبالإسلام ديناً؛ لأنك إذا آمنت بذلك على تلك الصفة؛ فلا ريب أنه لن يشرع شرعاً إلا ويحقق سعادتك: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك: ١٤].

إذاً؛ فالإيمان الصادر عن الإيمان بالله ورسوله محلّه التوثيق عن الله ورسوله؛ فإذا ثبت لك أن الله شرعه بواسطة رسوله قلنا: سمعنا وأطعنا: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال -تعالى-: ﴿إنّما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾ [النور: ٥١].

وإذا شكّ المرء في أمر دعي إليه لا يعلمه؛ فالواجب أن يسأل عن الدليل لا أن يطلب التعليل؛ لأن الأحكام الشرعية لا تعلل، وتعليلها ضلال من طرف خفي؛ فهو قد يجعل ما يستحسنه العقل حلالاً، وما يستقبحه ضلالاً.

قال الإمام ابن قيم الجوزية-رحمه الله-: «ومن علامات تعظيم الأمر والنهي: أن لا يحمل الأمر على علّة تضعف الانقياد والتسليم لأمر اللّه -عز وجل-؛ بل يسلم لأمر اللّه -تعالى- وحكمه، ممتثلاً مما أمر به، سواء ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه؛ أو لم تظهر، فإن ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه؛ حمله ذلك على مزيد من الانقياد بالبذل والتسليم لأمر اللّه؛ ولا يحمله ذلك على الانسلاخ منه وتركه جملة؛ كما حمل ذلك كثير من زنادقة الفقراء المنتسبين إلى التصوف»[1].

ولذلك يلزم المسلم الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر: أن يكون عالماً بالأدلة الشرعية كتاباً وسنة وآثار السلف الصالح، لا أن يأخذ بآراء الرجال الذين يزخرفون له القول، وينصرف إلى حفظ المتون الفقهية العارية من الدليل والقصائد العقيدية المفتقرة إلى التأصيل.

لأن هذه السبيل؛ هي سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين ومن اقتدى بهم بإحسان إلى يوم الدين.

عن معاذة قالت: سألت عائشة؛ فقلت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟.

---

(١) «الوابل الصيب» (ص٢٤).

فقالت: أحرورية[١] أنت؟!

قالت: لست بحرورية، ولكني أسأل.

قالت: «كان يصيبنا ذلك؛ فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة»[٢].

هذا هو قول المؤمنين وموقف الصادقين... إنه توثيق الخبر عن سيد البشر؛ لأنه إذا ورد الأثر؛ بطل النظر، وإذا ورد نهر اللَّه؛ بطل نهر معقل!.

وفي هذا الحديث دلالات منهجية؛ منها:

١- من وافق فرقة ضلالة في أصل من أصولها نسب إليها؛ فعائشة -رضي اللَّه عنها- سألت معاذة: أحرورية أنت؛ لأن سؤالها وافق بعض أصول الخوارج، فما بالك بمن وافقهم في أصول! ألا ينسب إليهم؟!

٢- ردّ الشبهات وكسرها يكون بكتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ.

٣- فهم الصحابة -رضي اللَّه عنهم- حجة على من بعدهم، ولذلك رجعت معاذة إلى عائشة -رضي اللَّه عنها-، وعندما أخبرتها وقفت على ذلك ولم تَتَعَدَّهْ.

٤- أعلم الخلق بمراد اللَّه ورسوله ﷺ هم أصحاب النبي ﷺ، فمذهب السلف أعلم وأحكم وأسلم.

٥- الأحكام الشرعية لا تعلل، ولا قياس في العبادات؛ لأن مدارها على التوقيف.

---

(١) الحرورية هم الخوارج؛ لأنهم نزلوا حروراء -قرية بظاهر الكوفة-، ومن مذهبهم الفاسد؛ ورأيهم الكاسد: أنهم يوجبون على الحائض إذا طهرت؛ قضاء الصلاة التي فاتتها في زمن حيضها؛ كما تقضي الصوم(!)

(٢) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

التقليد والعقيدة

إن منهج الإسلام في العلم وتلقي المعرفة واحد سواء في أصوله أو فروعه؛ فقد أمر الناس جميعاً باتباع الدليل، ولم يجز التقليد إلا عند الضرورة؛ أي: عند عدم التمكن من اتباع الدليل أو معرفته، لا فرق في ذلك بين العقائد والأحكام، فمن يستطيع الاجتهاد في الفقه مثلاً؛ لا يجوز له أن يقلد، وعلى شاكلته من استطاع النظر في النصوص الشرعية الواردة في مسائل العقيدة؛ فلا يجوز له أن يقلد.

يقول -سبحانه وتعالى-: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [النحل: ٤٣]؛ فالمسلم إما أن يكون من أهل الذكر الذين يستطيعون فهم الأدلة استقلالاً، وإما لا يستطيع ذلك؛ فعليه أن يولي وجهه شطر أهل العلم سائلاً؛ كما قال رسول اللَّه ﷺ للذين أفتوا بجهل: «ألا سألوا حين جهلوا؛ فإنما شفاء العي السؤال»[1].

وهذا أمر عام بنص الآية؛ فهي لم تحدد مجال السؤال أهو في العقيدة أم الأحكام؟ بل جعلت القدرة مناط التكليف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه-: «ولهذا اتفق العلماء أنه إذا عرف الحق؛ لا يجوز له تقليد أحد في خلافه، وإنما تنازعوا في جواز التقليد للقادر على الاستدلال، وإن كان عاجزاً على إظهار الحق الذي يعلمه؛ فهذا يكون كمن عرف أن دين الإسلام حق وهو بين النصارى، فإذا فعل ما يقدر عليه من الحقّ لا يؤاخذه بما عجز عنه، وهؤلاء؛ كالنجاشي وغيره، وأما إن كان المتبع للمجتهد

---

(١) صحيح - أخرجه ابن ماجه والدارقطني والحاكم وغيرهم.

وانظر تفصيل ذلك في «تنقيح الإفادة المنتقى من مفتاح دار السعادة» (١/ ١٧٨).

عاجزاً عن معرفة الحق على التفصيل، وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد، فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ؛ كما في القبلة، وأما إن قلد شخصاً دون نظيره، بمجرد هواه ونصره بيده ولسانه من غير علم أن معه الحق، فهذا من أهل الجاهلية، وإن كان متبوعاً مصيباً، لم يكن عمله صالحاً، وإن كان متبوعه مخطئاً كان آثماً»[١].

وجمهور العلماء على عدم جواز التقليد في العقيدة، وإن اختلفوا في جوازه للقادر على الاستدلال في الفروع[٢].

ورب قائل يقول: إن الإمام أحمد -رحمه اللَّه- يرى التقليد في الدين: «ومن زعم أنه لا يرى التقليد، ولا يقلد دينه أحداً؛ فهو قول فاسق عند اللَّه وعند رسوله ﷺ، إنما يريد بذلك إبطال الأثر، وتعطيل العلم والسنة، والتفرد بالرأي والكلام، والبدعة والخلاف»[٣].

فالجواب: إن مقالة الإمام أحمد -رحمه اللَّه- هذه ذم لعلماء الكلام الذين جنحوا للرأي وترك الآثار وتحكيم العقل في أمور العقيدة؛ وهو يعد -رحمه اللَّه- اتباع الآثار تقليداً؛ كما في رواية أبي الحارث عنه؛ قال: «من قلّد الخبر رجوت أن يسلم»[٤]؛ لأنه يقول: «إنما الحجة في الآثار»؛ أما التقليد الذي هو اتباع آراء

---

(١) «الإيمان» (ص٦٨).

(٢) قاله الإمام أحمد بن حمدان في: «صفة الفتوى والمفتي والمستفتي» (ص٥١)، والعلامة السفاريني في: «لوامع الأنوار البهية» (١/ ٢٦٧).

وانظر -لزاماً-: «هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة» بتحقيقي، وكتابي: «التعظيم والمنة في الانتصار للسنة».

(٣) «الرد على الزنادقة والجهمية» (ص٨٠).

(٤) «لوامع الأنوار البهية» (١/ ٢٦٧).

الرجال؛ فإن الأخبار عن الإمام في ذمّه مستفيضة[١]؛ لذلك كان يقول: «لا تقلدني، ولا تقلد مالكاً، ولا الشافعي، ولا الأوزاعي، ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا»[٢].

وقال: «رأي الأوزاعي، ورأي مالك، ورأي أبي حنيفة كله رأي، وهو عندي سواء، وإنّما الحجّة في الآثار»[٣].

واستدل العلماء على تحريم التقليد في العقيدة بأدلة من الكتاب والسنة:

١- أمر اللّه -سبحانه- بالتفكر والتدبر: ﴿إنّ في خلق السّموات والأرض واختلاف اللّيل والنّهار لآيات لأولي الألباب * الّذين يذكرون اللّه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السّموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النّار﴾ [آل عمران: ١٩٠ و١٩١].

وعندما نزلت هذه الآيات قال الرسول ﷺ: «لقد نزلت علي الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها»[٤].

٢- ذم اللّه التقليد، ونعى على الجاهلين تقليدهم الآباء والأجداد دون علم وبرهان؛ فقال -سبحانه-: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾ [الزخرف:٢٢].

قال ابن عبدالبر: «باب فساد التقليد ونفيه، والفرق بين التقليد والاتّباع.

---

(١) «مناقب الإمام أحمد»، ابن الجوزي (ص١٩٢).

(٢) «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، ابن قيم الجوزية (٢/ ٣٠٢).

(٣) «جامع بيان العلم وفضله»، ابن عبدالبر (٢/ ١٤٩).

(٤) حسن - أخرجه ابن حبان وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ»، وانظر «الصحيحة» (٦٨).

قد ذم اللَّه -تبارك وتعالى- التقليد في غير موضع من كتابه؛ فقال: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون اللَّه والمسيح ابن مريم وما أمروا إلاّ ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلاّ هو سبحانه عمّا يشركون﴾ [التوبة: ٣١]»[١].

٣- التقليد لا يفيد إلا الظن، وقد نهى اللَّه عن اتباع الظن: ﴿إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾ [الأنعام: ١١٦].

والظن المنهي عنه والمذموم شرعاً هو: الخرص، والتخمين، والشّكّ، أما الظن الذي يفيد العلم، ومعناه: الاعتقاد؛ فخارج دائرة النهي والذمّ؛ كقوله -تعالى-: ﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربّهم﴾ [البقرة: ٤٦].

وهذه أدلة عامة يدخل فيها العقائد والأحكام، وإن قصرها بعض الأحزاب[٢] في دائرة العقيدة؛ فوهم؛ لأن هذه الأدلة في معرض عبادة الكفار، والعبادة تشمل الأمور الاعتقادية والأحكام الشرعية.

والعلماء الذين ذهبوا إلى منع التقليد وإبطاله تنازعوا فيما بينهم حول صحة إيمان المقلد، وإليك مذاهبهم بياناً وترجيحاً:

كثير من المعتزلة والمتكلمين ذهبوا إلى عدم صحّة إيمان المقلد؛ لأن من لم يعرف اللَّه بالدليل كافر، ونقل مثل هذا عن الأشعري[٣].

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٠٩).

(٢) كحزب التحرير النبهاني، وقد رددت عليهم، وفندت مقالتهم، وبينت تناقضهم وجهالتهم في كتابي: «الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد»؛ فانظره -غير مأمور-.

(٣) رده ابن عساكر -رحمه اللَّه- في «تبيين كذب المفتري».

والأشعري عندما هداه الله إلى منهج أهل السنة والجماعة تبرأ من مذهبه الأول، وانتسب إلى إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل -رحمه الله-؛ كما ذكر ذلك في كتابيه: «مقالات الإسلاميين»[١]، و«الإبانة»[٢].

وهؤلاء يوجبون إعادة قول الشهادتين عند البلوغ، وقد رد عليهم العلماء الذين قالوا بصحة إيمان المقلد، وأنه لا يشترط إعادة التلفظ بالشهادتين عند البلوغ.

قال الإمام أبو العز الحنفي -رحمه الله-: «اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله -عز وجل-... ولهذا كان الصحيح: أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشكّ؛ كما هي أقوال أرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقيب البلوغ، بل يؤمر بالطهارة والصلاة إذا بلغ أو ميّز عند من يرى ذلك، ولم يوجب أحد منهم على وليه أن يخاطبه حينئذٍ بتجديد الشهادتين، وإن كان الإقرار بالشهادتين واجباً باتفاق المسلمين، ووجوبه يسبق وجوب الصلاة؛ لكن هو أدى هذا الواجب قبل ذلك.

وهنا مسائل تكلم فيها الفقهاء: كمن صلى ولم يتكلم بالشهادتين، أو أتى بغير ذلك من خصائص الإسلام، ولم يتكلم بهما، هل يصير مسلماً أم لا؟.

والصحيح: أنه يصير مسلماً بكل ما هو من خصائص الإسلام؛ فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا؛ كما قال النبي ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»، وهو أول واجب وآخر واجب.

---

(١) (ص٢٩٧).

(٢) (ص٢٠).

فالتوحيد أول الأمر وآخره؛ أعني: توحيد الإلهية؛ فإن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع[١]:

أحدها: الكلام في الصفات.

والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن اللَّه خالق كل شيء.

والثالث: توحيد الإلهية، وهو استحقاقه -سبحانه وتعالى- أن يعبد وحده لا شريك له»[٢].

قال السفاريني -رحمه اللَّه-: «والحقّ الذي لا محيد عنه ولا انفكاك لأحد منه صحة إيمان المقلد تقليداً جازماً صحيحاً، وأن النظر والاستدلال ليسا بواجبين، وأن التقليد الصحيح محصل للعلم والمعرفة، والذي عليه السلف وأئمة الفتوى من الخلف وعامة الفقهاء صحة إيمان المقلد»[٣].

إن الواجب على المسلم المكلف أن يتبع الكتاب والسنة في كل أمر، ويستسلم لحكم اللَّه ورسوله في كلّ شأن؛ لا فرق بين عقيدة وشريعة، هذا في عموم مسائل العقيدة، وأما أصلها وهو الإيمان باللَّه ورسوله واليوم الآخر؛ فإنه

---

(١) هذا التقسيم الثلاثي هو المتفق عليه بين علماء أهل السنة والجماعة.

وأما إضافة (بعضهم) نوعاً رابعاً، وهو توحيد الحاكمية؛ فإنها بدعة حزبية، وإضافة سياسية، وفيها مشاقة لسبيل المؤمنين.

ومسألة الحكم للَّه من لباب العقيدة السلفية، لكنها متجاذبة بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، فإن نظرنا إليها من جهة تعلقها بأفعال الرب -تبارك وتعالى-؛ فهي من توحيد الربوبية، وإن نظرنا إليها من جهة تعلقها بأفعال العبد واستجابته لذلك؛ فهي من توحيد الإلهية، واللَّه أعلى وأعلم.

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٧٧-٧٨).

(٣) «لوامع الأنوار البهية» (١/ ٢٩٦).

يستحب بناؤها على التفكير والنظر في ملكوت اللَّه -سبحانه- والاستدلال عليه بآياته في الآفاق والنفس.

لكن إذا آمن رجل ونطق بالشهادتين دون أن يفعل ذلك؛ فإن إيمانه صحيح وهو معدود من المسلمين، بل يُقْبَلُ إسلام من أسلم كرهاً.

عن أبي هريرة -رضي اللَّه عنه- قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل»(١).

وفي رواية: «عجبت لأقوام يساقون إلى الجنة بالسلاسل وهم كارهون»(٢).

وكلنا يعلم أن أكثر قبائل العرب أسلمت حين إسلام أميرها؛ متابعة له في ذلك وخضوعاً وتقليداً.

ومن ذلك إسلام عامة قبيلة الأوس في المدينة متابعة لسيدهم سعد بن معاذ -رضي اللَّه عنه-(٣)؛ فهل كان إسلام هؤلاء الصحابة -رضي اللَّه عنهم- مشكوكاً فيه؟!.

وعندما دعى رسول اللَّه هرقل عظيم الروم أرسل إليه قائلاً: «أسلم تسلم يؤتك اللَّه أجرك مرتين؛ فإن توليت؛ فإن عليك إثم الأريسيين(٤)»(٥).

وما ذلك إلا لأن رسول اللَّه ﷺ يعلم أن الناس تبع لكبرائهم وساداتهم، وأن شأن عامة الناس التقليد، والقليل من يشتغل بالنظر والبحث.

ولذلك كان رسول اللَّه ﷺ يتألف زعماء القبائل، واللَّه أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري وغيره، وأحمد من حديث أبي أمامة -رضي اللَّه عنه-.

(٢) حسن - أخرجه الطبراني في «الكبير» من حديث أبي أمامة -رضي اللَّه عنه- وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» من حديث أبي هريرة -رضي اللَّه عنه-.

(٣) انظر «نور اليقين»، الخضري (ص٧٥).

(٤) هم الفلاحون، والمراد: رعيته وشعبه.

(٥) أخرجه البخاري.

إن الحكم إلا لله

إن قضية الحكم والشريعة والتقاضي ينبغي أن تكون للَّه وحده، لا للأهواء المتقلبة، أو المصالح المضطربة، أو للعرف الذي يصطلح عليه جيل أو أجيال، ولا يرجع إلى أصل ثابت في شرع اللَّه، وهذا من المعلوم ضرورة في مسائل الإيمان؛ لأنه يقوم على جملة اعتبارات منها:

١- أنها تنبني على الإقرار بربوبية اللَّه:

فهو الخالق الذي خلق كل شيء، وله ملك السماوات والأرض وما بينهما: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ [الأعراف: ٥٤].

وهو الرازق؛ فهل يملك أحدٌ يرزق نفسه أو غيره: ﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [الذاريات: ٥٧و٥٨]؟

وهذا يقتضي أن يكون الحكم له وحده لا شريك له، لأن موجبات العبودية -أعني: الخلق والرزق- تستلزم أن يعبد اللَّه وحده، وأن يكون الحكم للَّه وحده: ﴿إن الحكم إلا للَّه أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم﴾ [يوسف: ٤٠].

٢- الأفضلية المقطوع بها لدين اللَّه على قوانين البشر، هذه الأفضلية التي يشير إليها قوله -تعالى-: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ [المائدة: ٥٠].

٣- من المعلوم بداهة لذوي العقول السليمة وأولي الفطر المستقيمة: أن الصنعة لا تجعل لنفسها بنفسها قانوناً تسير عليه وتتحرك إليه، وإنما الذي يضع لها ما لها هو صانعها الذي ابتدعها وأبدعها؛ ولذلك فمن الجهل أن يتصور الإنسان أنه بمقدوره أن يجعل لنفسه سنناً يسير عليها لا تحيد، ولا يأتيها النقص من أطرافها،

أو يتولد الخلل من أنصافها، أو لا يكون العجز من أكبر أوصافها، ومن ذلك؛ فلا بد من الرجوع إلى شرع اللّه الذي خلق الإنسان، ويعلم ما يصلح الإنسان وما يصلح عليه حاله: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك: ١٤].

٤- من قدّر الشريعة حق قَدْرِها علم أن مبناها على الحِكَمِ ومصالح العباد في الدنيا والآخرة؛ فهي عدل اللّه بين عباده، ورحمته في خلقه؛ فمن استقام عليها نال حياة القلوب، وظفر بقرة العيون، واعتصم بالعروة الوثقى؛ لأنها العصمة من كلِّ شرٍّ، والسبب في كلِّ خير، وكلُّ نقص في العالم؛ فسببه من إضاعتها.

وعجبي لا ينقضي من قوم هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا لا يرون تمام الترقي إلا في العيش على فُتات موائد الكفار وعبدة الأصنام؛ لظنهم أنهم بلغوا الغاية القصوى في التمدن والترقي، وتناسى هؤلاء أن هؤلاء الكفار قَصَرُوا نظرهم على الدنيا؛ فهي أكبر همهم، ومبلغ علمهم: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ [الروم: ٦و٧].

هؤلاء يؤذون أنفسهم وأمتهم؛ لأنهم بدّلوا نعمة اللّه نكراً، وأحلوا قومهم أخس المنازل؛ فينبغي الأخذ على أيديهم بالتي هي أحسن للتي هي أقوم: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ [الإسراء: ٩] فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [الأنعام: ٨١-٨٢].

إن اللّه -تبارك وتعالى- لم يُحوجنا إلى شيء من الكتب الإلهية السابقة، بل نَحَلَنَا كتاباً مفصلاً لكل شيء على علم من اللّه -تبارك وتعالى- فكيف يُحوجنا إلى شيء من قوانين البشر وأوضاعهم وأحوالهم وسياساتهم؟! حاشا للّه ومعاذ اللّه.

وهذا من كمال أمة الإسلام وفضلها على من قبلها من الأمم؛ فإنها لكمال نبيها وكمال شريعتها لا تحتاج إلى أمر خارج عن كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ، فهما

عصمة الناس، وقوام العالم، وقطب السعادة في الدنيا والآخرة... فهل من مُدَّكِر؟[١].

---

(١) التبست مسألة الحكم على كثير من الحزبيين والحركيين؛ فجعلوها أصل الإيمان، فمن تركها نُقِضَ إيمانه، وتلاشى إسلامه.

وهؤلاء القوم انقلبت لديهم الوسائل غايات، وصارت الغايات من الأمور الخلافيات، فإن مسألة الحكم وسيلة لإقامة العبودية للّه وحده لا شريك له في دنيا الناس، وهم جعلوها غاية؛ بل كثير من غلاتهم جعلها قسماً رابعاً من أقسام التوحيد وسماه: «توحيد الحاكمية» وهو تقسيم مبتدع، لأنه تقسيم سياسيّ لا اصطلاحيّ، كما تقدم (ص٣٥).

وقد جعلوا التوحيد الذي دعت إليه جميع الرسل وأنزلت لأجله الكتب الإلهية مفرقاً للأمة.

حدثني الشيخ أبو شهاب الدين حسن بن عبدالوهاب البنا المصري السلفي -وهو الآن في الثمانين من عمره -تقريباً- أطاله اللّه بالصالحات-، قال: جاء الشيخ حسن البنا الساعاتي -مؤسس جماعة الإخوان المسلمين- إلى الشيخ محمد حامد الفقي -مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية- وقال له -وأنا أسمع-: نريد أن نتعاون[أ](!)، فقال له الشيخ الفقي: نتعاون على التوحيد، فقال الشيخ حسن البنا الساعاتي: التوحيد يفرقنا(!!).

قال مقيده أبو أسامة الهلالي -عفا اللّه عنه-: ومع ذلك كله يزعم الإخوان المسلمون أنهم الجماعة «الأم» التي قامت بعد سقوط الخلافة!!

وهذا زعم باطل وادعاء عاطل؛ فإن جماعة الإخوان المسلمين أسسها حسن البنا الساعاتي سنة (١٩٢٨م)، بينما جماعة أنصار السنة المحمدية تأسست سنة (١٩٢٦م) ورحم اللّه القائل: كذبوا علينا؛ فاستعنا عليهم بالتاريخ.

وهذا يدل على أن هذه الجماعة الحزبية لا تقيم وزناً للدعوة السلفية ولا تعتبرها، بل تجعلها من العوائق في وجهها؛ فلا بدَّ من تحطيمها؛ فَصَدَّرَتْ -مِن بَعْدُ- «القطبية السرورية» في لباس السلفية[ب].. ولكن تعيش لهم الجهابذة.. «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم...».

(أ) وانظر -لزاماً- ما تقدم (ص١١-١٢).

(ب) وانظر -غير مأمور- ما تقدم (ص ٢١).

ومن أحسن من الله حكماً

من يستطيع أن يدّعي أنه أعلم من اللَّه بحال النـاس، أو أحكـم مـن اللَّـه في تدبير شؤونهم، أو يدَّعي أن أحـوالاً وحاجـات جـرت في حيـاتهم، وكـان اللَّـه -سبحانه- لا يعلمها وهو يُحْكِم شـريعته ويتـم نعمتـه، أو كـان عالمـاً بهـا ولكنـه لم يشرعها؟ وهذا يشير إليه قول اللَّه -عز وجل-: ﴿ءأنتم أعلم أم الله﴾ [البقـرة: ١٤٠]، وقوله: ﴿وما كان ربك نسياً﴾ [مريم: ٦٤].

لإن شواهد أفضلية دين اللَّه على قوانين البشر لا يحصيها عدّ، ولا يحصرهـا حدّ، ولكنها تتكشف على مر العصور وكر الدهور، ويضل اللَّـه الظـالمين، ويفعـل اللَّه ما يشاء.

ومن ذلك:

١- أن دين اللَّه شامل متكامل يَنْتَظِمُ جميع أحوال الناس ويُنَظِّمُهـا، ويتنـاول بالتنظيم والتوجيه والرعاية كلّ جوانب حياتهم في كل صورها وأشكالها وألوانهـا، فهو لم يدع شاردة ولا واردة في حياة البشر إلا أحصاها، وأودعها في إمام مبين.

وهذه الحقيقة يدركها حتى أعداء اللَّه؛ فقد قالت يهود لسلمان -رضـي اللَّـه عنه-: «لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة»[1].

وقال -تعالى-: ﴿أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾ [الأنعام: ١١٤].

---

(١) أخرجه مسلم.

٢- وهو دين يقوم على علم اللَّه الذي خلق هذا الكائن البشري، وخلق هذا الكون الذي يعيش فيه؛ فشرع له منهجاً ربانياً إن اختاره الإنسان سلك طريق العبودية التي استقام عليها هذا الكون.

٣- وهو دين متناسق مع سنن اللَّه في الوجود؛ لأنه دين ارتضاه من خلق هذا الكون: ﴿أفغير دين اللّه يبغون وله أسلم من في السّماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون﴾ [آل عمران: ٨٣].

٤- وهو الدين الذي يتحرر به الإنسان من العبودية لغير اللَّه.

ففي كلّ مناهج البشر يتعبد الناسَ الناسُ، ويعبدُ الناسُ الناسَ، أما في دين اللَّه فيخرج الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

إن حكم الجاهلية ركام من أهواء البشر وعجزهم وقصورهم، سواء أكان الذي يشرع فرداً لجماعة، أم طبقة لسائر الطبقات، أم جميع الطبقات وجميع القطاعات لأنفسهم؛ لأنه أهواء الناس الذين لا يتجردون من الأهواء أبداً؛ ولأنه جهل الناس الذين لا يتجردون من الجهل أبداً؛ ولذلك فإن الحكم بغير ما أنزل اللَّه شر وشقاء، وفساد وضنك لا ريب فيه[1].

ومن أصدق من اللَّه قيلاً: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من اللَّه حكماً لقوم يوقنون﴾ [المائدة: ٥٠].

---

(١) انظر تفصيل القول في مسألة الحكم بما أنزل اللَّه وحكم التارك له في كتابنا: «مجمل مسائل الإيمان العلمية في أصول العقيدة السلفية» (ص٢٣-٢٥).

قراءة منهجية في أحاديث الخوارج

لقد قام أصل الخوارج على التشكيك في قسمة رسول الله ﷺ، وأنها لم يرد بها وجه اللَّه؛ فقال رسول اللَّه ﷺ: «رحم اللَّه أخي موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا؛ فصبر»[١].

وقد استدل بها (أفراخهم)(!) على جواز الإنكار العلني على الحكام والتهييج الحماسي للعوام بدعوى: أن الرسول ﷺ لم يقتله، ولم يسجنه، ولا حذّر منه، ولا حقق معه...

وزعم بعضهم: أن هذا هو المنهج الذي تقوم عليه العلاقة بين العالم والحاكم(!)

وهذا الاستدلال -المزعوم- يدل على أمور:

١- أن منهج الخوارج قديماً وحديثاً ينبني على غمز الحكام ولمزهم وتضخيم أخطائهم في نظر العامة؛ ليوغروا صدورهم؛ فيسعوا في زوالهم، أو التآمر عليهم، أو السكوت عمن يسعى إلى ذلك، ولذلك جعلوا أصل الإيمان متمثّلاً بقضية التشريع والحكم، وأن الخلل فيها أو النقص الذي يعتريها ناقض لعقد الإسلام، وهادم لأصل التوحيد[٢].

٢- فصل العامة عن قيادتهم الصحيحة المتمثّلة في أهل العلم الربانيين الذين يربون الأمة على صغار العلم قبل كباره؛ لتبلغ رشدها، وتستغلظ، وتستوي على سوقها؛ فلا تقع في الاستعجال الذي يصيب دعاته بالاستبدال أو الاستئصال.

---

(١) متفق عليه.

(٢) انظر (ص٣٦).

ولذلك فقد جمع الخوارج شرّين:

تضخيم أخطاء الحكام لتكفيرهم.

والتشكيك في العلماء وتحقيرهم.

فطلائع الخوارج شكّكوا في رسول اللّه ﷺ وأصحابه، وأفراخهم شككوا في أهل العلم وطلابه.

وهذا الاستدلال ليس له صلة بالمسألة المطروقة من وجوه:

١- أن هذا الرجل الذي شكّك في قسمة رسول اللّه ﷺ هو بذرة الخوارج ومحرك الفتنة، وقد تواترت الأدلة من السنة النبوية على ذمّ الخوارج وتفنيد منهجهم، بينما الاستدلال يوهم جواز صنيع ذلك الرجل، أو على الأقل عدم التعرض له، وأن عمله لا يستوجب عقوبة أو ردعاً أو منعاً أو قمعاً.

٢- إن الإنكار كان بين يدي رسول اللّه ﷺ، وليس على المنابر أو في المحاضرات والندوات!!

وبين المنكِر إنكاراً شرعياً وصاحب الدعوى مفاوزُ تنقطع دونها أعناق الإبل، وتصبح فيها الصيحات الحماسية كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً... وتدبر قول رسول اللّه ﷺ: «سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر؛ فأمره، ونهاه؛ فقتله»[1] تجد الدليل في واد والدعوى في واد آخر.

وهو استدلال متهافت متهالك؛ لكنه قد يُضِلُّ السالك.

---

(١) حسن - أخرجه الحاكم والضياء المقدسي وغيرهم من حديث جابر بن عبداللّه - رضي اللّه عنهما-.

٣- دعوى أن رسول اللَّه ﷺ لم يأمر بقتله باطلة؛ فقد أمر بقتله؛ كما في حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-، وذهب إليه أبو بكر، فرآه يصلي؛ فَكَرِه أن يقتله، وكذلك فعل عمر، ولما ذهب إليه علي لم يجده[١].

٤- بل تواتر عن النبي ﷺ أنه أمر بقتلهم؛ فقال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد؛ شر قتلى تحت أديم السماء، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه».

فرسول اللَّه ﷺ لم يأمر بقتله وحده بل قتل فروعه وذريته.

٥- أن رسول اللَّه ﷺ شَهّر به وبذريته، وفضحهم على رؤوس الأشهاد، ووصفهم بأنهم كلاب أهل النار: «الخوارج كلاب أهل النار»[٢].

٦- أن رسول اللَّه ﷺ بيّن جهلهم وَسَفَهَهم؛ فقال: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم»، وقال: «سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان».

٧- أن رسول اللَّه ﷺ حذر من فتنتهم وآثارها؛ فقال: «يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان».

٨- أن رسول اللَّه ﷺ بيَّن غلوهم، وأنهم كلما ازدادوا فيها ازدادوا من اللَّه بعداً؛ فقال لأصحابه: «تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم».

٩- وأما قوله ﷺ: «رحم اللَّه أخي موسى، قد أوذي بأكثر من هذا؛ فصبر»؛ فلا يدل على ما ذهبوا إليه من وجوه:

---

(١) صحيح - أخرجه أحمد، وصححه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٢٥)، وجوَّد إسناده الحافظ ابن حجر في في «فتح الباري» (١٢/ ٢٩٨).

(٢) صحيح - أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم من حديث ابن أبي أوفى -رضي اللَّه عنه- وأخرجه أحمد والحاكم من حديث أبي أمامة -رضي اللَّه عنه-.

أ- أن ما فعله الرجل مع رسول اللّه ﷺ أذى، وإلحاق الأذى بالمسلمين حرام؛ لقوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[١] فكيف إيذاء رسول اللّه ﷺ؟!.

ب- أن ما فعله رسول اللّه ﷺ صبر وعدم استعجال للعقوبة بالمخالف، ولذلك كان حكم الإسلام في الخوارج عدم البدء بقتالهم أو قتلهم حتى يخرجوا؛ كما فعل معهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؛ فكان يقول: «لن أبدأهم بقتال حتى يبدؤوا، وإنهم فاعلون».

هؤلاء هم الخوارج يتعبدون ويتفقهون ويقاتلون لكن على غير سنة؛ فكانت ثمارهم المرة فتناً متلاحقة؛ كقطع الليل المظلم، حتى يخرج في أعراضهم الدجال[٢].

---

(١) متفق عليه.

(٢) وقد جمعت أحاديث الخوارج وما يتعلق بها من أحكام عقيدية ومنهجية في كتاب مستقل، يسَّر الله نشره على خير.

الدعوة والفطرة

هناك عهد من اللَّه على كل إنسان أن يوحّده؛ يدل عليه أن كل مولود يخرج إلى هذا الوجود؛ فلا يميل عنها إلى أن يُفسد فطرتَه عاملٌ خارجيٌّ عنها يستغل الاستعداد البشري للهدى والضلال بفعل شياطين الإنس والجن.

وهذا الأصل العقيدي له دلالاته في منهج الدعوة إلى اللَّه -تعالى-:

١- فطرة الإنسان فيها تطلع إلى الحق واستشراف للخير، فهي ثابتة، وكذلك دين اللَّه الذي ارتضاه لعباده ثابت، وبهذا ترتبط فطرة النفس ومنهج اللَّه في حقيقته واتجاهه: ﴿فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرة اللّه الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق اللّه ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون﴾ [الروم: ٣٠].

٢- الشرك والانحراف دخيل طارىء على النفس البشرية؛ ولذلك فإن الإيمان باللَّه لا مفر منه لمن أراد النجاة؛ لأن عقيدة: اللَّه ربي وأنا أعبده، ذات أصول عميقة في نفس الإنسان.

وهذا يجعل الداعي إلى اللَّه لا يَقْنَطُ من هداية الخلق بل يحرص على ذلك، ولا يستعجل العذاب بالمخالفين والمستنكفين؛ ولذلك كان أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح أعلم الناس بالحق، وأرحم الخلق بالخلق.

٣- الإسلام دين الفطرة؛ فهو المخلّص للبشرية من الشقاء، وهو القادر على منح البشرية المنهج الملائم لفطرتها واحتياجاتها الحقيقية، وعلى تنسيق خطاها في حركة متزنة متناسقة مع كل شيء وكل حيّ، ولذلك فهو الكفء للقيام بمهمة استئناف الحياة البشرية على قاعدة جديدة؛ كما عرفها أول مرة يوم أن بعث اللَّه محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق.

وكذلك لهذا الأصل دلالته على الدعاة:

١- خصومة الناس بدأت في التوحيد -ولا زالت-، لذلك جاء الرسل جميعاً ليدعو الناس إلى هذا الأصل، ويقولوا لهم الكلمة الفصل، لذلك يجب على الداعي إلى اللَّه أن:

«يهتم» بهذا الركن الركين؛ فإنه نقطة الارتكاز في دائرة الإيمان، وهو القنطرة التي يمر بها الإنسان إلا رحاب اللَّه.

«يبدأ به»؛ فالتوحيد أولاً وأخراً لو كانوا يفقهون!.

٢- البيئة ذات أثر فعال في توجيه اهتمام الإنسان، وصياغة فكره، وتكوين عقيدته، وإحكام تصوراته.

فعلى الداعي إلى اللَّه أن:

«يتعهد» الناشئة بالتربية المستقيمة.

«يسعى» لإيجاد البيئة الطيبة، والمناخ الإيماني؛ فإنهما يُعينان العبد على طاعة اللَّه.

وهذا المقام هو منهج الدعاة إلى اللَّه على مر العصور؛ كما يدل عليه حديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً؛ فأمره العالِم بالخروج إلى القرية الصالح أهلها ليعبد اللَّه معهم؛ لأن قريته قرية سوء.

ويؤكد هذا المنهجَ واجبُ الهجرة والفرار إلى اللَّه؛ لأن المقصود من ذلك تحقيق بيئة إيمانية تعين العبد على طاعة ربه، وإعلاء منهجه دون خوف أو ترقب.

الدعوة والنور

ما من كلمة أصدق، ولا تعبير أدق من إخبار اللَّه -عز وجل- عن حقيقة الإسلام بأنه نور، وعن واقع الكفر بأنه ظلمات؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

إنها حقيقة يجد المؤمن حلاوتها في قلبه، ويتذوّق طعمها في كيانه، ويجني ثمارها في جميع مفردات حياته: في رؤيته للواقع، وتقديره للأشخاص، وتقييمه للأحداث، وتقويمه للأشياء.

وما يخرج الناس من النور إلا ليعيشوا في ظلمة من الظلمات أو في ظلمات مجتمعة؛ لأن الكفر ظلمات، ظلمات متنوعة ومتعددة.. ظلمة الهوى والشهوة والنزعات.. وظلمة الشُّرود والاندفاع في التيه.. وظلمة الشك والقلق والحيرة والانقطاع عن الهدى، والوحشة من الجناب الآمن.. وظلمة اضطراب الموازين، وتخلخل الأحكام، وتحلل القيم.

ولن ينقذ الناس من هذا الظلام إلا نور اللَّه المبين؛ يشرق في قلوبهم بإذن اللَّه، ويغمر أرواحهم، ويهديهم إلى فطرتهم، وهي: فطرة هذا الدين القيم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ و١٦].

وهذا الوصف الرباني لحقيقة الإسلام له دلالاته في منهج الدعوة إلى اللَّه، وحياة داعي اللَّه؛ فمنها:

أ- طريق الدعوة إلى اللَّه نور على نور، وبيانه:

أن اللَّه -سبحانه- وصف نفسه بأنه نور السماوات والأرض: ﴿اللَّه نور السموات والأرض﴾ [النور: ٣٥].

واحتجب عن خلقه بالنور؛ كما في حديث أبي موسى الأشعري -رضي اللَّه عنه-: «... حجابه النور، ولو كشفه؛ لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»(١).

وجعل كتابه نوراً؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿فآمنوا باللَّه ورسوله والنور الذي أنزلنا واللَّه بما تعملون خبير﴾ [التغابن: ٨].

ووصف نبيه ﷺ بأنه نور؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿قد جاءكم من اللَّه نور وكتاب مبين﴾ [المائدة: ١٥].

وجعل دينه نوراً، قال: ﴿أفمن شرح اللَّه صدره للإسلام فهو على نور من ربّه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر اللَّه أولئك في ضلال مبين﴾ [الزمر: ٢٢].

إذن؛ فطريق الدعوة إلى اللَّه نور على نور، غايتها وسبيلها ومعالمها، ولقد تركنا رسول اللَّه ﷺ على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ولكن من لم يجعل اللَّه له نوراً فما له من نور.

ب- سبيل اللَّه واحدة، وبنيات الطريق متعددة:

لقد أفرد اللَّه -جل جلاله- كلمة «النور»، وجمع كلمة «الظلمات»؛ لأن النور واحد، وهو الصراط المستقيم الذي لا صراط يوصل إليه سواه، وهو عبادته

---

(١) أخرجه مسلم.

وحده لاشريك له؛ بما شرعه على لسان رسوله ﷺ، لا بالأهواء والبدع، بخلاف طرق الضلال؛ فإنها متعددة متشعّبة، ولهذا يفرد -سبحانه- الحق، ويجمع الباطل.

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ: أنه خطّ خطاً مستقيماً، وقال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: «هذه سبل الشيطان، على كل سبيل شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ قول الله -تعالى-: ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون﴾ [الأنعام: ١٥٣][1].

إن هذا التميز وهذه المفاصلة ذات بال؛ لتستبين معالم الحق الذي يستحيل أن يلتقي مع الباطل في صورة من الصور إلا إذا تحول الباطل بكلّيته إلى الحق أو العكس.

ت- أعداء الله يريدون أن يطفئوا نور الله.

إن دعاة الضلالة وأئمة الكفر الذين بيدهم أزمّة الأمور في سبيل الشيطان، يحاربون نور الله سواء بما يطلقونه من أكاذيب ودسائس وفتن، أو يحرّضون أتباعهم وأشياعهم وإخوانهم على حرب هذا النور وأهله، والوقوف سداً في وجهه؛ كما هو الواقع على مدار التاريخ: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون﴾ [التوبة: ٣٢].

إن هذا البيان -وإن كان يريد استجاشة قلوب المسلمين- يصور الموقف الدائم لأعداء هذا المنهج من نور الله المتمثل في دينه الحق الذي يهدي للتي هي أقوم.

ث- المستقبل لهذا الدين.

---

(١) صحيح - أخرجه أحمد وابن حبان وغيرهما.

إن أعداء اللَّه يمكرون؛ لكن مكرهم هو يبور، فإن المستقبل لهذا الدين... وعد من اللَّه... ووعده حقّ؛ لأنه سنته التي لا تتبدل في إتمام نوره بإظهار دينه ولو كره المشركون: ﴿هو الّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون﴾ [التوبة: ٣٣].

ولقد تواتر النقل عن رسول اللَّه ﷺ بأن المستقبل لهذا الدين[1].

ج- يا دعاة الإسلام استضيئوا بنور اللَّه واعتصموا بحبل اللَّه.

إن وعد اللَّه حق تطمئن له قلوب الذين آمنوا، فيدفعهم هذا إلى المضي في الطريق إلى اللَّه على المشقة واللأواء، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم؛ لأنهم يعلمون أن هذا النور لا بد أن يعمّ الأرض؛ فلا بدّ له من دعاة يمشون به في الناس؛ ليحيوا بنور اللَّه على منهج اللَّه: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في النّاس كمن مثله في الظّلمات ليس بخارج منها كذلك زيّن للكافرين ما كانوا يعملون﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فالمسلم على ما يسر له من العلم ولو كان ضئيلاً يُبيِّنُه وينشره، يُعَلِّم به الجاهل، ويرشد به الضال، وهو بقوله الطيب وعمله الصالح؛ كالنور يشع على من حوله، وتتسع دائرة إشعاعاته وتضيق بحسب ما عنده من علم وعمل ودعوة.

فعلى داعي اللَّه: أن يعلم هذا من نفسه، ويعمل عليه، ويضرع إلى اللَّه دائماً في دعائه أن يفيض عليه من نوره، ويقيه الشيطان وشروره وحسب نفسه وغروره، مُلْتَجِئٌ إلى اللَّه في كل أموره، ويدعو بدعاء النبي ﷺ الذي كان يدعو له؛ كما في

---

(١) انظر -لزاماً- «السلسلة الصحيحة» (١-٥).

حديث ابن عباس: «اللَّهم اجعل في قلبي نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً»[1].

وعلى دعاة الإسلام: أن يستضيئوا بنور اللَّه الذي يهدي به اللَّه من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، وأن يعتصموا بحبل اللَّه جميعاً ولا يتفرقوا.

كونوا يا عباد اللَّه إخواناً، وتعاهدوا على منهج اللَّه أعواناً... ومن لم يجعل اللَّه له نوراً فما له نور.

---

(١) متفق عليه.

منهج الدعوة السلفية في التغيير
تصفية وتربية

إن العاملين في حقل الدعوة الإسلامية كثر، والمنظرين للشباب المسلم أكثر، وكل أولئك يَجدُّون ويَكِدُّون لاستئناف حياة إسلامية!

وفي وسط هذا البحر الزاخر العُباب تجد صنوفاً من الشيوخ والشباب، فأما الشيوخ فقد رَضُوا من الغنيمة بالإياب، وأما الشباب فشدوا المئزر ووضعوا أرجلهم في الرِّكاب، وكلا الفريقين في حيرة واضطراب... فكان لا بد من طرح تصور المنهج السلفي في استئناف حياة إسلامية راشدة على منهاج النبوة:

إن تصفية الإسلام مما ليس منه -عقيدة وأحكاماً وأخلاقاً وسياسة-؛ ليعود يتلألأ صافياً نقياً في ثوب الرسالة؛ كما أنزل على محمد ﷺ، ثم تربية الأجيال المسلمة على هذا الإسلام المصفى تربية إيمانية عميقة التأثير؛ هو: منهج الدعوة السلفية الناجية، والطائفة الأثرية المنصورة في التغيير.

أولاً: لماذا المنهج السلفي فقط؟

لا بدّ لكل مسلم -يروم النجاة المثلى، ويرنو إلى الحياة الفضلى، والفوز في الأخرى والأولى- من فهم كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ الصحيحة بفهم خير الناس: من الصحابة والتابعين ومن اقتدى بهم بإحسان إلى يوم الدين؛ لأنه لن يُتَصَوّر فكر وفهم ومنهج أصح وأقوم من فهم السلف الصالح ومنهجهم؛ لأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها.

وإن الحَتْمَ الواجبَ استقراءُ الأدلة كتاباً وسنةً وإجماعاً وقياساً؛ ليستنبط منه وجوب فهم الكتاب والسنة في ضوء منهاج السلف الصالح؛ لأنه الفهم المجمع على صحته على توالي القرون، وعليه؛ فلا يجوز لأي فرد مهما علا شأنه أن يفهم

غير الفهم السلفي، ومن رغب عنه إلى مبتدعات الخلف المحفوفة بالمخاطر، وغير مأمونة الجانب -وأثرها في تفريق المسلمين معروف لا ينكر، وفي تشتيت شملهم معلوم لا يجحد- هو إنسان أسَّس بنيانه على شفا جُرُف هارٍ.

ودونك البيان بالدليل والبرهان:

١- إن السلف الصالح -رضي اللَّه عنهم- مشهود لهم بالخيرية نصاً واستنباطاً:

قال اللَّه -تعالى-: ﴿والسّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والّذين اتّبعوهم بإحسان رضي اللّه عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنّات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾ [التوبة: ١٠٠].

وجه الدلالة: أن ربّ البرية أثنى على من اتبع خير البريّة، فعُلِم أن خير البرية إذا قالوا قولاً؛ فاتبعهم متبع؛ فيجب أن يكون محموداً، وأن يستحق الرضوان، ولو كان اتباعهم لا يتميز عن غيرهم لم يستحقُّوا الثناء والرضوان.

وخير البرية هم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان بنص القرآن: ﴿إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات أولئك هم خير البريّة﴾ [البينة: ٧].

٢- قال -جل شأنه-: ﴿كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون باللّه﴾ [آل عمران: ١١٠].

وجه الدلالة: لقد أثبت اللَّه لهم الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقتضي استقامتهم على كلِّ حال؛ لأنهم لن يزيغوا عن البيضاء، فقد شهد اللَّه لهم أنهم يأمرون بكل معروف، وينهون عن كل منكر إيماناً واحتساباً، وذلك يستلزم أن فهمهم حجة على من بعدهم حتى يرث اللَّه الأرض ومن عليها، وإلا لما صلح أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فتدبر.

فإن قيل: هذا عام في الأمة لا يختص بجيل من الصحابة دون من بعدهم.

قلت: هم المخاطبون ابتداء، ولا يدخل من تبعهم بإحسان إلا بقياس، أو بدليل آخر -كما هو في الدليل الأول-.

وعلى تسليم العموم -وهو الصواب- فإن الصحابة أول داخل في شمول الخطاب، فإنهم أول من تلقى عن رسول اللَّه ﷺ بدون واسطة، وهم المباشرون للوحي.

وهم أولى بالدخول من غيرهم؛ إذ الأوصاف التي وصفهم اللَّه بها لم يتصف بها على وجه الكمال إلا هم؛ فمطابقة الوصف للاتصاف شاهد على أنهم أحق من غيرهم بالمدح، ولذلك:

٣- قال رسول اللَّه ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»[(١)].

هل الخيرية المثبتة لجيل الصحابة في ألوانهم أو أجسامهم أو أموالهم أو مساكنهم أو...؟

لا يشك ذو حِجْرٍ عَقَلَ الكتاب والسنة الصحيحة أن شيئاً من ذلك غير مقصود ألبتة؛ لقول رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[(٢)].

ولأن الخيرية في الإسلام مقياسها تقوى القلوب والعمل الصالح؛ لقوله -تعالى-: ﴿إن أكرمكم عند اللَّه أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣].

---

(١) متواتر؛ كما بينته في كتابي «بصائر ذوي الشرف بشرح مرويات منهج السلف».

(٢) أخرجه مسلم.

ولقد نظر اللَّه إلى قلوب الصحابة -رضي اللَّه عنهم-؛ فوجدها خير قلوب العباد بعد قلب رسول اللَّه ﷺ؛ كما قال عبداللَّه بن مسعود -رضي اللَّه عنه-: «إن اللَّه نظر إلى قلوب العباد؛ فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد؛ فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد؛ فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه»[١].

فآتاهم فهماً وعلماً لا يدركه اللاحقون لهم؛ فعن أبي جُحيفة، قال: قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال: «إلا كتاب اللَّه، أو فهم أُعْطِيَهُ رجلٌ مسلمٌ أو ما في هذه الصحيفة»[٢].

وبذلك نتبين: أن الخيرية الممدوحة في قول رسول اللَّه ﷺ هي خيرية الفهم والمنهج، وبه يكون فهم الصحابة للكتاب والسنة حجة على من بعدهم إلى آخر هذه الأمة، ومنهجهم سبيل النجاة وطوق الحياة.

يوضحه:

٤- قال اللَّه -تعالى-: ﴿وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء على النّاس ويكون الرّسول عليكم شهيداً﴾ [البقرة: ١٤٣].

لقد جعلكم اللَّه -عز وجل- خياراً عدولاً، فهم أفضل الأمم وأعدلها في أقوالهم وأفعالهم وإرادتهم، ولذلك استحقوا أن يكونوا شهداء على الناس، فلهذا نوّه بهم، ورفع ذكرهم وأثنى عليهم، وتقبلهم بقبول حسن.

والشاهد المقبول عند اللَّه هو الذي يشهد بعلم وصدق؛ فيخبر بالحق مستنداً إلى علمه، قال -تعالى-: ﴿إلا من شهد بالحقّ وهم يعلمون﴾ [الزخرف: ٨٦].

---

(١) حسن - أخرجه أحمد وغيره.

(٢) أخرجه البخاري.

فإذا كانت شهادتهم مقبولة عند اللّه؛ فلا ريب أن فهمهم للدين حجة على من بعدهم، وإلا لم تقم شهادتهم، والآية قد أثبتت الدلالة مطلقاً.

والأمة لم تعدِّل جيلاً مطلقاً إلا جيل الصحابة، فإن أهل السنة والجماعة من أتباع السلف وأهل الحديث عدَّلوهم على الإطلاق والعموم، فأخذوا عنهم رواية ودراية من غير استثناء، ولا محاشاة، بخلاف غيرهم؛ فلم يعدِّلوا إلا من صَحَّتْ إمامته، وثبتت عدالته، وهما لا يُمنحان لإنسان إلا إذا سار على أثر الصحابة -رضي اللّه عنهم-؛ فثبت بهذا أن فهم الصحابة حجة على غيرهم في توجه نصوص الكتاب والسنة؛ ولذلك أمر اللّه -سبحانه- باتباع سبيلهم.

٥- قال اللّه -تعالى-: ﴿واتبع سبيل من أناب إليّ﴾ [لقمان: ١٥].

وكلّ من الصحابة -رضي اللّه عنهم- منيب إلى اللّه، فهداهم الله إلى الطيب من القول، والصالح من العمل بدليل -تعالى- ﴿فيتّبعون أحسنه أولئك الذين هداهم اللّه وأولئك هم أولوا الألباب﴾ [الزمر: ١٧ و١٨].

فوجب اتباع سبيلهم في الفهم لدين اللّه كتاباً وسنة؛ ولذلك هدد اللّه من اتبع غير سبيله بجهنم وبئس المصير.

٦- قال اللّه -تعالى-: ﴿ومن يشاقق الرّسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نُوَلّه ما تولّى ونصله جهنّم وساءت مصيراً﴾ [النساء: ١١٥].

ووجه الدلالة: أن اللّه توعّد اتباع غير سبيل المؤمنين؛ فدلّ على أن اتباع سبيلهم في فهم الشرع واجب، ومخالفته ضلال.

٧- عن أبي موسى الأشعري -رضي اللّه عنه-، قال: صلينا المغرب مع رسول اللّه ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، فجلسنا، فخرج علينا؛

فقال: «ما زلتم هنا؟!» قلنا: يا رسول اللّه صلينا معك، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: «أحسنتم أو أصبتم».

قال: ثم رفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء؛ فقال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[1].

لقد جعل رسول اللّه ﷺ نسبة أصحابه -رضي اللّه عنهم- إلى من بعدهم في الأمة الإسلامية كنسبتهِ لأصحابه، وكنسبة النجوم إلى السماء.

ومن المعلوم أن هذا التشبيهَ النبويَّ يُعطي في وجوب اتباع فهم الصحابة للدين نظير رجوع الأمة إلى نبيها ﷺ؛ فإنه ﷺ المبين للقرآن؛ وأصحابه -رضي اللّه عنهم- ناقلو بيانه للأمة.

وكذلك رسول اللّه ﷺ لا ينطق عن الهوى، وإنما يصدر عنه الرشاد والهدى، وأصحابه عدول لا ينطقون إلا صدقاً، ولا يعلمون إلا حقاً.

وكذلك النجوم جعلها اللّه رجوماً للشياطين في استراق السمع؛ فقال -تعالى-: ﴿إنّا زيّنّا السّماء الدّنيا بزينة الكواكب . وحفظاً من كلّ شيطان مارد . لا يسّمّعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كلّ جانب . دحوراً ولهم عذاب واصب . إلّا من خَطِفَ الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ [الصافات: ٦-١٠].

وقال -سبحانه-: ﴿ولقد زيّنّا السّماء الدّنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشّياطين﴾ [الملك:٥].

---

(١) أخرجه مسلم.

وكذلك الصحابة -رضي اللَّه عنهم- زينة هذه الأمة فهماً وعلماً وعملاً، كانوا رَصَداً لتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين.

وكذلك؛ فإن النجوم منار لأهل الأرض ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، قال -تعالى-: ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ [النحل: ١٦]، وقال -جل شأنه-: ﴿هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ [الأنعام: ٩٧].

وكذلك الصحابةُ يُقتدى بهم للنجاة من ظلمات الشهوات والشبهات، ومن أعرض عن فهمهم، فهو في غيه يتردى في ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها.

وبفهم الصحابة نحصن الكتاب والسنة من بدع شياطين الإنس والجنِ، الذين يبتغون الفتنة، ويبتغون تأويله؛ ليفسدوا مراد اللَّه ورسوله، فكان فَهْمُ الصحابة -رضي اللَّه عنهم- حرزاً من الشَّرِّ وأسبابه، ولو كان فهمهم لا يحتج به لكان فهم من بعدهم أمنة للصحابة وحرزاً لهم، وهذا محال.

ولو رُفض هذا التخصيص ورُدَّ هذا التقييد -وهو وجوب فهم الكتاب والسنة الصحيحة بفهم السلف الصالح- لتنكب المسلم الصراط السوي، وصار صيداً للفرق والأحزاب المنحرفة عن الصراط المستقيم، لأن الكتاب والسنة تعرَّضا لعدة محاولات فهم؛ كالاعتزال، والإرجاء، والتجهم، والتشيع، والتصوف، والخوارج، والباطنية، وغيرها؛ فكان لا بدّ من التمييز.

فإن قيل: ليس من شك أن فهم الرسول ﷺ وفهم أصحابه من بعده هو المنهج الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لكن ما الدليل على أن المنهج السلفي هو فهم الرسول ﷺ وأصحابه؟

قلت: الجواب من وجوه:

أ- أن السلف هم صحابة رسول اللَّه ﷺ، ويدخل من بعدهم تبعاً واتباعاً، فمن وافقهم؛ فهو من السلف، ومن خالفهم؛ فقد اتبع غير سبيل المؤمنين.

ب- إن المفاهيم المذكورة -آنفاً- متأخرة عن عهد النبوة والخلافة الراشدة، ولا ينسب السابق للاَّحق، بل العكس؛ فتبين: أن الطائفة التي لم تسلك هذا السبيل، ولم تتبع هذه الطرق، هي الباقية على الأصل.

ت- لسنا نجد في فرق الأمة من هم على موافقة الصحابة -رضي اللَّه عنهم- غير أهل السنة والجماعة من أتباع السلف الصالح وأهل الحديث، دون سائر الفرق:

فأمّا المعتزلة، فكيف يكونون موافقين للصحابة؟! وقد طعن رؤوسهم في جلّة الصحابة، وأسقطوا عدالتهم، ونسبوهم إلى الضلال؛ كواصل بن عطاء الذي قال: «لو شهد علي وطلحة والزبير على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم»[1].

وأما الشيعة؛ فقد زعموا: أن الصحابة ارتدوا بعد النبي ﷺ سوى ثلاثة[2].

وليس لمن كفّر الصحابة أسوة ولا قدوة ولا كرامة.

وأما الخوارج؛ فقد مرقوا من الدين، وشذوا عن جماعة المسلمين؛ فمن ضروريات مذهبهم: أن يكفّروا علياً وابنيه وابن عباس وعثمان وطلحة وعائشة ومعاوية، ولا يكون على الصحابة من اتخذهم غرضاً وكفرهم.

وأما الصوفية؛ فسخروا من ميراث الأنبياء، وأسقطوا نقلة الكتاب والسنة ووصفوهم بالأموات؛ فقال كبيرهم: «أنتم تأخذون علمكم ميتاً عن ميت، ونحن نأخذ علمنا حدثني قلبي عن ربي».

وأما المرجئة؛ فيزعمون: أن إيمان الفاسقين والمنافقين كإيمان السابقين الأولين.

---

(١) انظر «الفرق بين الفرق» (ص١١٩-١٢٠).

(٢) انظر «الكافي» للكليني (١١٥)، و«رجال الكشي» (ص١٢-١٣).

وبالجملة؛ فهذه الفرق تريد إبطال شهودنا على الكتاب والسنة وجرحهم، فهم بالجرح أولى، وبذلك يتبين: أن الفهم السلفي هو منهج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة في الفهم والتلقي والاستدلال.

ثانياً: الفرقة الناجية والطائفة المنصورة:

كانت الفرقة وفتنة الأهواء التي بيَّن رسول الله ﷺ أخبارها، وحدد أسبابها، وأرشد إلى علاجها أعظم ما ابتليت به الأمّة الإسلاميّة والملّة المحمّديّة، فتقطعت الأمة أمماً، وأضحت الملة شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون؛ فكثرت النِّحل، وتعادى المسلمون فيما بينهم.

وهذه الفرق -التي ضلت- أشاعت الوهن، وفتحت للأعداء الأبواب، وأرشدتهم على الثغرات؛ فقوضت أركان وحدة الأمة الإسلامية وقوتها.

ولكن الله أبى إلا حفظ دينه وإتمام نوره؛ فغرس غرساً، وصنعهم على عينه، واستعملهم بطاعته؛ فامتشقوا حسام العلم، وتسنَّموا غارب الحق، لينفوا عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؛ فأمعنوا في حجج الباطل وشبهاته وأعوانه نحراً وتقتيلاً: ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ولما كَثُرَ المدَّعون طولبوا بإقامة البينة على صحّة دعواهم، فتنوع المدّعون بالشهود، فقيل لهم: لا تقام البينة، ولا تثبت الدعوى، ولا يصح البرهان إلا بشهادة: «ما أنا عليه وأصحابي».

فتأخرت الخلائق كلها، وثبَّت الله إخوان رسول الله ﷺ الذين درجوا على إثره في سائر شؤونهم: العقيدة، والسلوك، والتربية، والعبادة، والدعوة، والسياسة، وفهموا الوحيين الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة: الصحابة، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

والكلام في الطائفة المنصورة وعليها من وجوه:

أولاً: الأحاديث النبوية الصحيحة في النهي عن افتراق الأمة الإسلامية:

١- عن أبي هريرة -رضي اللَّه عنه- قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»[١].

وفي الباب عن جماعة من الصحابة، ومن ذلك:

أ- عن معاوية -رضي اللَّه عنهما-، وفي حديثه زيادة: «وإنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ[٢] بصاحبه، لا يبقى منه عِرْقٌ ولا مِفْصَلٌ إلا دخله»[٣].

ب- عن أنس بن مالك -رضي اللَّه عنه-، وفي حديثه زيادة: «كلُّها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»[٤].

---

(١) حسن - أخرجه أصحاب «السنن» عدا النسائي بإسناد حسن.

(٢) قال صديق حسن خان -رحمه الله- في «الدين الخالص» (٣/ ٤٥): «داء يعرض للآدميِّ من عض الكلب، فيصير مجنوناً، ويستولي عليه، ويسري فيه، ولا يستطيع أن ينظر إلى الماء، وإن نظر يصيح، وربما يموت من العطش، ولا يتمكن من شرب الماء وهو شبيه المانيخليا لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله.

قال بعض أهل العلم: تشبيه أهل الهوى بصاحب هذه العلة؛ لاستيلائها عليه، وتولد الأعراض الردية منها، وتعدي ضررها إلى غيره؛ كما تتعدى علة البدعة في أهل الأهواء.

وكما أن صاحب الكلب يفر من الماء، ولا يتمكن من شربه، ويموت عطشاناً، فكذلك أهل الأهواء يفرون من علم الدين الذي هو اتباع الكتاب والسنة، ولا يتمكنون من الاستفادة منهما، ويموتون محرومين في بادية الجهل، وهاوية البدعة نسأل الله العافية».

(٣) حسن - أخرجه أبو داود وغيره بإسناد حسن.

(٤) حسن لغيره - قلت: وله عنه طرق لا تخلو من مقال، ولكنها بمجموعها تتقوى؛ ويصير الحديث حسناً.

ت- عن عوف بن مالك -رضي اللَّه عنه- وفيه زيادة نحو حديث أنس بن مالك -رضي اللَّه عنه-[١].

ث- عن أبي أمامة الباهلي -رضي اللَّه عنه- في قصة طويلة، وفيه زيادة: «السواد الأعظم»[٢].

ج- عن سعد بن أبي وقاص -رضي اللَّه عنه- وفيه زيادة نحو حديث أنس ابن مالك -رضي اللَّه عنه-[٣].

ح- حديث عبداللَّه بن عمرو بن العاص -رضي اللَّه عنهما- وفيه زيادة: «ما أنا عليه -اليوم- وأصحابي»[٤].

وفي الباب عن عمرو بن عوف المزني، وأبي الدرداء، وأبي أمامة، وواثلة بن الأسقع، وأنس بن مالك -مجتمعين في حديث واحد- وهي ضعيفة جداً؛ فلا يلتفت إليها.

ومن هذه الأحاديث جاء وصف الفرقة الباقية على الأصل التي عضت على السنة بنواجذها بـ«الناجية»؛ لأنها نجت من الخلاف، وستنجو -بإذن اللَّه- من النار.

ثانياً: أحاديث الطائفة المنصورة:

---

(١) حسن - أخرجه ابن ماجة وغيره، بإسناد حسن.

(٢) حسن - أخرجه اللالكائي وابن عاصم وغيرهما، وسنده حسن.

(٣) قلت: سنده فيه ضعف.

(٤) حسن بشواهده؛ كما بينته في رسالتي «درء الارتياب عن حديث ما أنا عليه والأصحاب».

١- عن معاوية -رضي اللَّه عنهما- قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر اللَّه لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر اللَّه وهم على ذلك»[١].

قال عُمير -أحد رواة الحديث-: قال مالك بن يُخامِر: قال معاذ: «وهم بالشام».

فقال معاوية: هذا مالك يزعم: أنه سمع معاذ بن جبل يقول: «هم بالشام».

٢- حديث المغيرة بن شعبة -رضي اللَّه عنه- بلفظ: «لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر اللَّه وهم كذلك»[٢].

٣- حديث عمر بن الخطاب -رضي اللَّه عنه- بلفظ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»[٣].

٤- حديث ثوبان -رضي اللَّه عنه بلفظ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر اللَّه وهم كذلك»[٤].

٥- حديث عِمران بن حُصين -رضي اللَّه عنه- بلفظ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال»[٥].

٦- حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- بلفظ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم:

---

(١) أخرجه الشيخان.

(٢) أخرجه الشيخان.

(٣) صحيح - أخرجه الحاكم وغيره بإسناد على شرط الشيخين.

(٤) أخرجه مسلم.

(٥) صحيح- أخرجه أبو داود وأحمد وغيرهما بإسناد صحيح.

تعال صل لنا، فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمير؛ تكرمة اللَّه -عز وجل- لهذه الأمة»[١].

٧- حديث سَلَمَةَ بن نُفَيل -رضي اللَّه عنه- بلفظ: «الآن جاء القتال؛ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يرفع اللَّه قلوب أقوام فيقاتلون ويرزقهم اللَّه -عز وجل- وهم على ذلك، ألا إن عقر دار المؤمنين بالشام، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[٢].

٨ و٩- حديث عبداللَّه بن عمرو وعقبة بن عامر -رضي اللَّه عنه- بلفظ: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر اللَّه ظاهرين لا يضرُّهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك»[٣].

١٠- حديث قرة -رضي اللَّه عنه- بلفظ: «إذا فسد أهل الشام؛ فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرُّهم من خالفهم حتى تقوم الساعة»[٤].

١١- حديث جابر بن سمرة -رضي اللَّه عنه- بلفظ: «لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة»[٥].

١٣- حديث سعد بن أبي وقاص -رضي اللَّه عنه- بلفظين:

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) صحيح - أخرجه أحمد والنسائي بإسناد صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه مسلم.

(٤) صحيح- أخرجه الترمذي وابن ماجه بإسناد على شرط الشيخين.

(٥) أخرجه مسلم.

الأول: «ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الدين عزيزة إلى يوم القيامة»[١].

الثاني: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين حتى تقوم الساعة»[٢].

١٤- حديث أبي عِنَبَةَ الخولاني -رضي اللَّه عنه- بلفظ: «لا يزال اللَّه يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته إلى يوم القيامة»[٣].

وفي الباب عن غيرهم.

وعلى الجملة؛ فأحاديث الطائفة المنصورة متواترة؛ كما نص على ذلك جماعة من أهل العلم؛ منهم شيخ الإسلام ابن تيميَّة[٤]، والسيوطي[٥]، والزَّبيدي[٦]، والكَتَّاني[٧]، وشيخنا الألباني[٨] -رحمهم اللَّه تعالى-.

ومن هذه الأحاديث جاء وصف الطائفة؛ «الظاهرة على الحق» الثابتة عليه بـ«المنصورة»؛ لأن اللَّه يكلؤها برعايته، ويصنعها على عينه؛ حتى يأتي أمره وهم كذلك.

ثالثاً: أوصاف الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هل بينها تعارُضٌ وتغايُرٌ؟.

---

(١) صحيح - أخرجه اللالكائي.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) حسن - أخرجه ابن ماجه وغيره بإسناد حسن.

(٤) في «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٦).

(٥) في «الأزهار المتناثرة».

(٦) في «لقط اللآلئ المتناثرة» (ص٦٨).

(٧) في «نظم المتناثر» (٩٣).

(٨) في «صلاة العيدين» (ص٣٩-٤٠).

وردت الأخبار الصحيحة عن رسول اللَّه ﷺ بتعيين أوصاف الفرقة الناجية والطائفة المنصورة منهاجاً وحالاً:

أما المنهج؛ فقد وردت ثلاثة ألفاظ بتحديد ملامحه:

١- «ما أنا عليه -اليوم- وأصحابي»؛ كما في حديث عبداللَّه بن عمرو بن العاص -رضي اللَّه عنهما-.

٢- «الجماعة»؛ كما في حديث أنس وسعد -رضي اللَّه عنهما-.

٣- «السواد الأعظم»؛ كما في حديث أبي أمامة -رضي اللَّه عنه-.

وهذه الألفاظ النبوية الصحيحة تتفق ولا تفترق، وتأتلف ولا تختلف، وتجتمع ولا تمتنع؛ كما بيَّن ذلك الآجُرِّي -رحمه اللَّه-؛ فقال: «ثم إنه -صلوات اللَّه وسلامه عليه- سئل: من الناجية؟ فقال -عليه الصلاة والسلام- في حديث: «ما أنا عليه وأصحابي»، وفي حديث: «السواد الأعظم»، وفي حديث: «واحدة في الجنة وهي الجماعة».

قلت أنا -القائل الآجري-: ومعانيها واحدة إن شاء اللَّه»[1].

قال راقم هذه الحروف أبو أسامة الهلالي -عفا اللَّه عنه-: صدق وبَرَّ؛ فالأمر كما قال.

هذه الطائفة المنصورة هي الجماعة؛ لأن الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك؛ كما عرَّفها الصحابي الجليل عبداللَّه بن مسعود -رضي اللَّه عنه-.

عن عمرو بن ميمون الأودي -رحمه اللَّه- قال: قدم علينا معاذ بن جبل على عهد رسول اللَّه ﷺ، فوقع حبه في قلبي؛ فلزمته حتى واريته في التراب

---

(١) «الشريعة» (ص١٤-١٥).

بالشام، ثم لزمت أفقه الناس بعده عبدالله بن مسعود؛ فذكر يوماً عنده تأخير الصلاة عن وقتها؛ فقال: «صلوا في بيوتكم، واجعلوا صلاتكم معهم سبحة».

قال عمرو بن ميمون: فقيل لعبدالله بن مسعود: وكيف لنا بالجماعة؟ فقال لي: «يا عمرو بن ميمون إن جمهور الجماعة هي التي تفارق الجماعة، إنما الجماعة ما وافق طاعة الله، وإن كنت وحدك»[١].

وقد نقله العلامة أبو شامة -رحمه الله محتجاً به على قوله: «وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة؛ فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المستمسك به قليلاً والمخالف كثيراً؛ لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه -رضي الله عنهم- ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم (وذكره)»[٢].

واستحسن هذا الكلام العلامة ابن قيم الجوزية[٣] -رحمه الله- فقال: «وما أحسن ما قال أبو محمد بن إسماعيل المعروف بأبي شامة في كتابه: «الحوادث والبدع» (وذكره)».

قلت: لقد تبين لذي عينين أن الجماعة هي من وافق الحق ولو كان وحده، وهذه الطائفة المنصورة وصفت في أحاديث الرسول ﷺ بأنها ظاهرة على الحق، وكذلك لفظ الطائفة يقع على الواحد فما فوق في لغة العرب.

قال أديب الفقهاء وفقيه الأدباء ابن قتيبة الدِّينَوَري -رحمه الله-: «قالوا: وأقل ما تكون الطائفة ثلاثة! وغلطوا في هذا القول؛ لأن الطائفة تكون واحداً

---

(١) أخرجه اللالكائي، وابن عساكر، وصحح إسناده شيخنا الإمام الألباني -رحمه الله- في «مشكاة المصابيح» (١/ ٦١).

(٢) «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (ص٢٢).

(٣) «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (١/ ٦٩).

وثلاثاً وأكثر؛ لأن الطائفة بمعنى القطعة، وقد يكون قطعة من القوم، وقال اللَّه -تعالى-: ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾؛ يريد: الواحد من الاثنين»[١].

قلت: وهذا ما اتفق عليه أئمة اللغة والدين[٢].

فلا جرم أن تكون هذه الطائفة المنصورة هي الجماعة.

وهي السواد الأعظم؛ لأنها الجماعة.

قال ابن حبان[٣]: «الأمر بالجماعة بلفظ العموم والمراد منه الخاص؛ لأن الجماعة هي إجماع أصحاب رسول اللَّه ﷺ؛ فمن لزم ما كانوا عليه وشذ عمن بعدهم لم يكن بشاقٍّ للجماعة ولا مفارقٍ لها، ومن شذّ عنهم وتبع من بعدهم كان شاقاً للجماعة، والجماعة بعد الصحابة هم أقوام اجتمع فيهم الدين والعقل والعلم، ولزموا ترك الهوى فيما هم فيه، وإن قَلَّتْ أعدادهم لا أوباش الناس ورعاعهم وإن كَثُروا».

وقال إسحاق بن راهويه: «لو سألت الجهال عن السواد الأعظم؛ لقالوا: جماعة الناس، ولا يعلمون أن الجماعة عالم متمسك بأثر النبي ﷺ وطريقه؛ فمن كان معه وتبعه؛ فهو الجماعة»[٤].

قال الإمام الشاطبي مؤكداً هذا الفهم السني الصحيح: «فانظر حكايته تتبين غلط من ظن أن الجماعة هي جماعة الناس وإن لم يكن فيهم عالم، وهو فهم العوام

---

(١) «تأويل مختلف الحديث» (ص٤٥).

(٢) كما بينته في كتابي: «الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد» (١/ ٢٣).

(٣) في «صحيحه» (٨/ ٤٤).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٣٩).

لا فهم العلماء؛ فَلْيُثَبِّت الموفق في هذه المزلّة قدمه؛ لئلا يضل عن سواء السبيل، ولا توفيق إلا باللَّه»[١].

قلت: تدبر أيها الأخ هذه الكلمات الغاليات واحفظها؛ فإنها تزيل عنك إشكالات أوجبها حملُ أحاديث رسول اللَّه ﷺ المتقدمة في التفريق على وهم العامة، وتوهم أنصاف الفقهاء، وتدحض شبهات أثارها دعاة الفرق الضالة الذين ردوا هذه الأحاديث بدعوى أنها تخالف الواقع، حيث تحكم على جماهير الأمة الإسلامية بدخول النار ظناً أن جماهير الأمة الإسلامية يدينون ببدعهم وضلالاتهم، وما فطنوا أن جماهير الأمة الإسلامية تجذبهم الفطرة السليمة إلى العقيدة الصحيحة -إن شاء اللَّه- ولذلك تمنى رؤوسهم أن يموتوا على دين العجائز.

ولا شك أن هذه الطائفة المنصورة هي على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه؛ لأنها على الحق، والحق هو ما كان عليه النبي وأصحابه؛ فمن بقي على ما كانت عليه الجماعة قبل التفرق وإن كان وحده، فإنه -حينئذ- هو الجماعة.

ولقد بحثنا في الفرق قديماً وحديثاً فلم نجد أحداً اجتمع على موافقة رسول اللَّه ﷺ وأصحابه إلا أهل الحديث وأتباع السلف؛ فإنهم على قدم رسول اللَّه ﷺ وأصحابه -رضي اللَّه عنهم- عقيدة، وسلوكاً، وتربية، ودعوة، وسياسة -سائرون، وبهذا تتضح معالم منهج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة أنه: الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة؛ محمد والذين معه، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما الواقع والمآل؛ فقد ورد أنها ناجية منصورة، ولا تعارض ولا تناقض؛ فهي ناجية في الدنيا من الخلاف والبدع، وفي الآخرة من النار، منصورة في الدنيا

---

(١) «الاعتصام» (٢/ ٢٦٧-بتحقيقي).

بظهورها على الحق، وفي الآخرة بفوزها بجنات عدن في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وقد ظن بعض الدعاة المعاصرين: أن النصر لا يكون إلا للمقاتلين؛ ولذلك فقد زعم: أن الطائفة المنصورة غير الفرقة الناجية!! وهذا وهم وتوهُّم ليس له قوائم حق وبراهين صدق.

قال اللّه -تعالى-: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنّهم لهم المنصورون . وإنّ جندنا لهم الغالبون﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

فهل انتصارات جميع الرسل كانت في ساحات المعارك وميادين القتال؟!

وقال -تعالى-: ﴿إنّا لننصر رسلنا والّذين امنوا في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ [غافر:٥١].

فهل النصر المضمون من رب العالمين لرسله والمؤمنين يكون في ساحات المعركة فحسب؟! وهل يكون يوم القيامة -يوم يقوم الأشهاد- قتال؟!

وقال -تعالى-: ﴿ولقد منّا على موسى وهارون . ونجّيناهما وقومهما من الكرب العظيم . ونصرناهم فكانوا هم الغالبين﴾ [الصافات: ١١٤-١١٦].

فهل انتصار موسى وهارون على فرعون وهامان وقارون كان في ميادين القتال، وساحات النزال، ومقارعة الأبطال؟! أو أنه ثمرة للصبر والمصابرة والمرابطة وتقوى اللّه؟!

وقال -تعالى-: ﴿إلّا تنصروه فقد نصره اللّه إذ أخرجه الّذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ اللّه معنا فأنزل اللّه سكينته عليه وأيّده بجنود لم تروها وجعل كلمة الّذين كفروا السّفلى وكلمة اللّه هي العليا واللّه عزيز حكيم﴾ [التوبة: ٤٠].

فهل انتصار رسول اللَّه ﷺ أثناء هجرته كان فيه مواجهة المشركين في ساحات القتال؟! أم أنه النجاة من أذى الكفار وكيدهم وعدم وصولهم إليه وإلى صاحبه؟!

وهب جدلاً أن الفرقة الناجية هي سواد الطائفة المنصورة، والقاعدة الشعبية لها؛ فهل الفرقة الناجية في معزل عن النصر وأسبابه؟! بل إنها أهم عنصر فاعل فيه.

عن مصعب بن سعد، قال: رأى سعد أن له فضلاً على من دونه، فقال النبي ﷺ: «هل تنصرون إلا بضعفائكم»[1].

ورواية: «إنما ينصر اللَّه هذه الأمةَ بضعيفها؛ بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم»[2].

إذاً؛ فالضعفاء لهم أثر فعّال في تحقيق النصر، وبهذا يتبين: أن الفرقة الناجية منصورة والطائفة المنصورة ناجية لا فرق بينهما، وأن التفريق بينهما من محدثات الحركيين والحزبيين المعاصرين(!!)

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٦).

(٢) صحيح - أخرجه النسائي.

السلفيون والسياسة

إن السلفية تنفي بمعناها ومبناها ومغناها أن تكون امتداداً لأيِّ حركة حزبية سياسية تجعل الحكم غاية لا وسيلة! تعمل لبلوغه بكل مكر ودهاء وحيلة، وتتخذ الإسلام شعاراً حتى إذا بلغت ما أرادت وحلقت فيما استباحت مرقت من سبيله!

وذلك أن السياسة في أفكار كثير من المنتسبين إليها العاملين في ساحتها؛ تعني: القدرة على المراوغة والمناروة واللف والدوران في المحاورة، وفن صياغة الأجوبة الحمّالة والأفعال الحلزونية التي تأخذ شكل الإناء الذي توضع فيه؛ ولونه وطعمه ورائحته(!).

هذه السياسة في نظر السلفيين قرين النفاق؛ لأنها تمييع للعقيدة، وتخدير للحسِّ الإسلامي، وقتل للشعور الإيماني، وحلّ لرابطة الولاء والبراء، وخديعة لعامة المسلمين؛ اتخذها فجار الدعاة سلّماً بدعوى أن يدرأ مظلمة! أو يشفع لمسلم! أو يخفف ضرراً!! أو يزيل منكراً!!!

ولقد رأينا عامة أولئك يَتَغَيَّرُون ولا يُغَيِّرُون، وأمثلهم طريقة لا يخرج من دوامة السياسة سالماً لم يظفر من الغنيمة بالإياب.

ولكن هذا لا يعني أن السلفية لا تهتم بأمر المسلمين، ولا تفقه واقعهم، ولا تسعى حثيثاً لاستئناف حياة إسلامية راشدة على منهاج النبوة، ومن ثم تطبيق حكم اللَّه في الأرض؛ ليكون الدين كلّه للَّه لا شريك له، وينشر العدل في البلاد والعباد... ولذلك جعلت هذا هدفاً من أهدافها تسعى لتحقيقه، وتعمل على بلوغه، وتدعو المسلمين بعامة والدعاة بخاصة أن يشدوا على يديها لتكون كلمتهم واحدة.

وعلى الرغم من ذلك نرى بعض من زبَّب قبل أن يحصرم، وطار قبل أن يريّش، يزعم: أن الدعوة السلفية المعاصرة ليست السياسة من منهجها! والدليل عنده أن استئناف الحياة الإسلامية لم يكن من أهدافها التي اعتادوا إثباتها على الغلاف الأخير من كتبهم!!

إن هذا الوهم يريد أن ينقضَّ وإن حاول صاحبه أن يقيمه؛ ليتخذ عليه درجة عند أقرانه وشيطانه الذي يوحي إليه زخرف القول غروراً... ودونك البيان مما ينبغي أن يتصور قبل ذلك، ومعه، وبعده:

١- أما أولاً؛ فإن استئناف الحياة الإسلامية على منهاج النبوة، وإنشاء مجتمع رباني، وتطبيق حكم اللَّه في الأرض تطرحه الدعوة السلفية لا رغبة ولا رهبة؛ لأنها دعوة تمتد أصولها إلى الصدر الأول، وتنبع جذورها مما أصّله العلماء الربانيون على مدار القرون؛ فهي امتداد لهم، ومنهجها في التغيير هو منهجهم، فهي تقتدي ولا تبتدي، وتتبع ولا تبتدع؛ فهي -والحال كذلك- على نقيض الدعوات المعاصرة التي تدّعي السبق في كلّ شيء، وكأنها نبتة اجْتُثَّت من فوق الأرض ما لها من قرار.

٢- إن الأهداف العامة التي تطرحها الدعوة السلفية هي أهداف كلها تغيير:

فالرجوع بالأمة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة: هو تغيير لواقع الأمة.

وتصفية ما علق بحياة المسلمين من الشرك على اختلاف مظاهره، وتحذيرهم من البدع المنكرة، والأفكار الدخيلة الباطلة، وتنقية السنة من الروايات الضعيفة والموضوعة التي شوهت صفاء الإسلام، وحالت دون تقدم المسلمين: هو تغيير لواقع الأمة.

وإن تربية المسلمين على دينهم الحق، ودعوتهم إلى العمل بأحكامه، والتحلي بفضائله وآدابه مما يكفل لهم رضوان اللَّه في الدنيا والآخرة، ويحقق لهم السعادة والمجد: هو تغيير لواقع الأمة.

وإن إحياء الاجتهاد العلمي الصحيح في ضوء الكتاب والسنة، وتقييد ذلك بقواعد فهم السلف الأول لنزيل الجمود المذهبي، ونقمع التعصب الحزبي، ليعود المسلمون إخواناً، ويتعاهدوا على نصرة منهج اللَّه أعواناً: هو تغيير لواقع الأمة.

٣- وأما الذي معه: فإن هذه الأهداف العامة بمجموعها تعني استئناف حياة إسلامية، ولكن على منهاج النبوة، فذكر هذه المسألة لاحقاً هو من باب ذكر الخاص بعد العام.

٤- وأما بعد ذلك: فإن السلفيين يسلكون منهج التغيير القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو قول اللَّه -تعالى-: ﴿إن اللّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [الرعد: ١١]، فساحة التغيير هي النفس البشرية حتى تستقيم على منهج اللَّه؛ فَتُؤَهَل للاستخلاف.

والتمكين وعد، وتغيير ما في النفوس شرط، ولن يتم الوعد إلا بتحقيق الشرط: ﴿إن تنصروا اللّه ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ [محمد: ٧].

ولذلك نرى شيخنا الألباني شامة الشام وحسنة هذه الأيام -رحمه اللَّه- مدح الكلمة المشهورة: «أقيموا دولة الإسلام في نفوسكم؛ تَقُمْ لكم على أرضكم» لمطابقتها لمنهج التغيير القرآني... ولم يمدحها تأثُّراً بمنهج قائلها الحزبي[1].

ورب قائل يقول: إن منهج التصفية والتربية غير واضح؛ فلمثله يقال -مع شيء من الاعتذار!-:

عَلَيَّ نحتُ القوافي من معادنها ... وما عليَّ إذا لم تفهم البقرُ

---

(١) وانظر -لزاماً- كتابي: «بدائع الحِكَم المنتقاة من حديث تداعي الأمم»؛ ففيه بيان تفصيلي لهذه الحقيقة الدقيقة، ورد لشبهات بعض الخوارج المعاصرين.

إن هذا المنهج أوضح من الشمس، ولكن قد تنكر العينُ ضوءَ الشمس من رمد!.

إن هذا المنهج هو منهج رسول اللَّه ﷺ الذي بعثه اللَّه به؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويكوّن منهم خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن باللَّه: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ [الجمعة: ٢]؛ إنه العلم والتزكية، ولن ننال العلم إلا بالتصفية، ولن نحقق التزكية إلا بالتربية.

وهو فهم ورثة الأنبياء عدول الأمة الذين يكشف اللَّه بهم الغمة، ويزيل الظُّلمة، ويكسر جَوْرَ الظَّلَمَة؛ كما أخبر ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[(١)].

وهو المنهج الذي يَحُولُ بين عُدَّة المستقبل وأمل الغد من شباب اليقظة الإسلامية والارتماء في محاضن الأدعياء أو الانتماء لأحزاب جوفاء؛ كما في حديث عبداللَّه بن عمرو -رضي اللَّه عنهما-، قال رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه لا ينتزع العلم بعد أن أعطاكموه، ولكن يقبض العلم بموت العلماء؛ حتى إذا لم يَبْقَ عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً؛ فسئلوا؛ فأفتوا بغير علم؛ فضلوا، وأضلوا»[(٢)].

والدعوة السلفية بذلك لا تتطلع إلى الصِّدام مع الحكام والأنظمة؛ لأنها تضع في اعتبارها إصلاح ذلك كله؛ لأن ذلك جزء من الأمة التي تسعى لإصلاحها

---

(١) حسن بشواهده - وقد خرجته وبينت طرقه في كتابي: «بصائر ذوي الشرف بشرح مرويات منهج السلف» (ص ١١١)؛ فانظره -لزاماً- غير مأمور، وأفردته في جزء مستقل: «تحرير النقول في تصحيح حديث العدول: رواية ودراية ورعاية».

(٢) متفق عليه.

وانتشالها من الحمأة الوبيئة التي أركست نفسها فيها؛ لأن الحكم والحاكم ليس غاية عندها؛ بل وسيلة ليعبد اللَّه وحده، ويكون الدين كله للَّه.

وثمت أمر آخر، وهو: أن قطع الرأس وقلب نظام الحكم سيفرز -لزاماً- نظاماً أشد وأطغى، ورأساً أظلم وأبقى، ومن كان في ريب؛ فليسأل أدعياء «الفقه الواقع»(!!).

وكذلك؛ فإن النظام الإسلامي لا بدّ له من سند يسنده ويدافع عنه مما يتعرض له من كيد الأعداء وخذلان الأدعياء: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ [الأنفال: ٦٢] ولن يكون المسلمون سنداً للرسل من بعد اللَّه -تعالى- إلا إذا تربوا على منهج رسول اللَّه ﷺ وأصحابه -رضي اللَّه عنهم-.

... فهذا الجهاد الأفغاني كان له سند من أهله... لكن هذه القاعدة اشتغلت بالمواجهة قبل التربية، فلما بلغت سدة الحكم؛ فإذا بها تنقض غزلها من بعد قوة أنكاثاً، وتتنازع فيما بينها، وتفشل، وتذهب ريحها، وتخرِّب ما بنت، وتهدر ما جنت، والمتربصون ينتظرون فرصتهم...

إذاً؛ لا بدّ من التصفية والتربية على المنهج الصافي الذي تضلَّع منه جيل القدوة الأول، وقرن الأسوة الأمثل، محمد والذين معه.

ومع ذلك كله؛ فإن السلفيين لا ينكرون على العاملين ضرورة التغيير، ولكنهم ينكرون عليهم مناهجهم في التغيير التي لا تسمن ولا تغني من جوع[1]، بل يركبها المستعجلون والمنتفعون؛ ليقدموا الشباب المسلم قرابين... ويقيموا العقابيل

---

(١) وقد بينت ذلك مفصلاً في كتابي: «مناهج الأحزاب الإسلامية المعاصرة في التغيير: دراسة وتقويماً».

بسبب استعجالهم... ومن ثَمَّ تهافتهم على موائد أعدائهم... وسنة اللَّـه خِلْفَـة لِـمَ أكده العالمون بقولهم: «من استعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه».

وينكرون المناهج الترقيعية التي تمكن للظالمين وتجعلهم يستخفون بالمسلمين، ويجعلونهم شيعاً وأحزاباً بأسهم بينهم شديد... ومن ثم تمييع العقيدة الإسلامية، بل القضية الإسلامية برمَّتها.

وينكرون المناهج الانقلابية الثورية التي يكون وقودها المسلمين، وتتأخر الدعوة بسببها سنوات كثيرات.

هذا الذي ينكره السلفيون ويحذرون منه، حاديهم في ذلك كله قوله -تعالى-: ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ [هود: ٨٨].

هذه هي السياسة التي نكرهها وننكرها ولا نحب أن نذكرها، ونبرأ إلى اللَّـه من أغلالها، وأصرها، وشرها؛ فهي قرين النفاق، وبريد الخداع، وسُلَّم الذين يعبدون اللَّه على حرف.

أما السياسة بمعناها الإسلامي النقي، وواقعها الإيماني التقي، التي ترعى شؤون الأمة الربانية، والتي تأخذ بيد البشرية إلى مدارج التقدم وميادين الرقي؛ فيتميز السعيد من الشقي: فهذا أمر دونه الأرواح والمهج، وإن حاول الخلوف أن يثيروا علينا الرهج.

إن السياسة الشرعية تعني: الإحاطة بالأحكام السلطانية، ومعرفة حقوق الراعي والرعية، وتقويم الحقائق بالموازين الشرعية، إذن فهي رعاية شؤون الأمة الإسلامية بما لا يخالف الكتاب الكريم والسنة النبوّية.

ولقد كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، أما هذه الأمة؛ فيسوسها العلماء الربانيون الذين هم ورثة الأنبياء؛ لأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم؛ فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر.

ولقد كان لعلماء الملة أكبر نصيب من ميراث رسول الله ﷺ؛ فسعوا يربون هذه الأمة على منهج النبوة علماً، وعملاً، وسلوكاً، دافعهم في ذلك قوله -سبحانه-: ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ [آل عمران: ٧٩].

والرباني: هو العالم البصير بسياسة الناس؛ فيربيهم على صغار العلم قبل كباره على منهاج النبوة.

وصغار العلم: هي المسائل والأعمال التي يطيقونها، وليس كما يتوهم أنصاف المتفقهين، وأرباع المثقفين، وأسداس المتعالمين: أنها الأمور التي يحلو لهم تسميتها بالمسائل الفرعية، أو الهامشية، أو السطحية، أو القشور؛ فإن هذا التقسيم بدعة، وقسمة ضيزى؛ كما بينتها في كتابي: «دلائل الصواب إلى إبطال تقسيم الدين إلى قشر ولباب»[1].

إن أهم الأوليات: مسائل التوحيد والإيمان؛ فالعقيدة أول واجب وآخر واجب لو كانوا يفقهون؛ كما علَّمَنا رسولنا ﷺ: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب؛ فأول ما تدعوهم إليه أن يعبدوا اللَّه وحده»[2]؛ وكأن رسول اللَّه ﷺ يتأول قوله -تعالى-: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [محمد: ١٩].

بهذا التصور الإيماني تكون الأمة عاملة في كل الأوقات، حتى إذا لاقوا العدو ثبتوا؛ لأنهم يعلمون أن الجنّة تحت ظلال السيوف.

ولذلك، فإن تكليف الأمة أفراداً وجماعات ما لا تطيق، ليس بالأمر الحقيق؛ لأنها ليس لها إلى ذلك طريق، وهو جَهْلٌ مُرَكَّبٌ بَلْ مُرَكَّزٌ، واتباع لبنيات الطريق...

---

(١) وانظر لزاماً (ص٧-١٢) من هذا الكتاب.

(٢) متفق عليه.

وهذا ما يقصده شيخنا محدث العصر وحافظ الوقت أبو عبدالرحمن الألباني -رحمه اللَّه- بقوله: «من السياسة -الآن- ترك السياسة».

إن هذه النظرة الصائبة هي التي آل إليها أمر كثير من الدعاة الذين اشتغلوا بالسياسة من بواكير الصبا، ولكنهم رأوها بأخرة لا تروي غليلاً، ولا تشفي عليلاً، ولا تهدي ساربها سبيلاً، بل كانت ظهيراً للمجرمين على الدعاة الإسلاميين تشريداً وتقتيلاً دون أن تهتز في المسلمين شعرة أو يضطرب منهم قلب!

إن المطلوب الحاليّ: هو إيجاد القاعدة الإيمانية الصلبة التي يُبنى عليها كيان الأمة كلها في سبيل تحقيق العبودية الشاملة الكاملة للَّه رب العالمين، والتي تصطبغ بها كل مناحي حياة الناس... فهل أعطى الحركيون (الإسلاميون) هذا الاتجاه شيئاً من اهتمامهم؟!

إن تكوين القاعدة الإسلامية لا يعني تجميع أشتات من الأهواء والفرق؛ فإنها لو بلغت الحكم؛ فعندئذ يفجر أعداء الإسلام هذه الألغام الموقوتة؛ فتصبح هذه الأشتات أحزاباً تتصارع على السلطة، وعندئذ سيلقي أعداء الإسلام من خلال أجهزة إعلامهم المرئية والخفية للجماهير المسلمة صورَ التشكيك بهؤلاء؛ قائلين لهم: انظروا ماذا يصنع هؤلاء الذين ملؤوا الدنيا صراخاً على الدولة الإسلامية، وإقامة حكم اللَّه في الأرض...! وهكذا يصبح الإسلاميون مَثَلَ السوء لأمتهم، وما يجري على أرض أفغانستان المسلمة ليس عن أولي الألباب بغائب، وما يحدث في الجزائر المسلمة ليس عن المتابع للأحداث ببعيد، وما يجري في بلاد السودان المسلم ليس عن المراقب بمعزل!!.

ولذلك؛ قد يغتر كثير من الدعاة بالحماسات العاطفية للجماهير، ويخدعه كثرة الأصابع المرفوعة، ويغره حشود المهرجانات المجموعة؛ فيقع على أم رأسه، وأمامنا بسطة من التجارب المعاصرة ووفرة من البراهين، تدل على خطورة هذه النظرة السطحية العجلى القاصرة، منها تجربة حسن البنا في مصر؛ فقد فرت جموع

الإخوان التي تهتف له في المركز العام في القاهرة عندما وقعت الضربة عام (١٩٤٨م)!!.

نعم؛ لقد فروا إلى غير رجعة؛ كما قال محمد قطب في كتابه[١]: «فرت كثير من الجموع التي كانت تتحلق حول الإمام الشهيد[٢] في درسه الأسبوعي، فتملأ المركز العام لجماعة الإخوان المسلمين، وتملأ الشوارع المتفرعة حوله حين رأت أن الأمر ليس عَرَضاً قريباً، ولا سفراً قاصداً، وإنما هو جهاد وعذاب.

كما فرت الجموع التي كانت تستقبل الإمام الشهيد كلما تنقَّل من مدن القطر أو أريافه في رحلاته الدائمة؛ التي لم يكن يَفْتُرُ عنها»[٣].

وتجربة جبهة الإنقاذ في الجزائر التي بلغ عدد أتباعها مئات الألوف، وفازت بالانتخابات البرلمانية بنسبة عالية ومع ذلك فقد قلبت لها قوى الاستكبار العالمي وقوى المكر الداخلي ظهر المِجَنّ على مرأى العالم وسمعه.

فهل يقف المستعجلون لحظة تدبر، ويقرون أنهم ارتكبوا في حق دينهم وأمتهم وأنفسهم حماقات كلفتهم صفوة شباب العودة الإسلامية؛ أم على قلوب أقفالها؟!.

---

(١) «واقعنا المعاصر» (ص٤٠٨-٤٠٩).

(٢) هذا ما يطلقه مفكرو جماعة (الإخوان المسلمين) على مؤسس حركتهم، وهو افتئات على الحقيقة، ومخالفة للشرع.

(٣) ذكرنا لهذا الكتاب ليس تزكية له، ولكنه من باب ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾، ولقد بينت أباطيله وافتراءه على منهج السلف الصالح، وأنه رأس حربة أفراخ الخوارج العصريين من القطبيين والسروريين والجهاديين التكفيريين في رسالة مستقلة هي: «عقد الخناصر في بيان أباطيل كتاب (واقعنا المعاصر)» وسترى النور قريباً -إن شاء الله تعالى-.

ربِّيُّون لا حزبيون

إن محنة الأمة الإسلامية لم تعد محصورة في ناحية بعينها؛ بل تعـدَّت إلى تربيـة سخَّرت كلّ مقوماتها ووسائلها لمسخ العقائد والقيم والأخلاق؛ حتى أضحى صيد المخططات الشيطانية في سرور بالغ يحسب نفسه على شيء أي شيء! ولذلك؛ فإن عصاة المسلمين اليوم ضحية تربية خاطئة أخلدتهم إلى الأرض، أرادت لهـم الكفـر والفسوق والعصيان ابتداء: ﴿ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفّاراً حسداً من عند أنفسهم﴾ [البقرة: ١٠٩]، ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ [آل عمران: ١٠٠]؛ ليستخف بهم دعاة الضلالة وأئمة الكفر انتهـاء؛ ففرقوهم شيعاً وأحزاباً: ﴿كلّ حزب بما لديهم فرحون﴾ [الروم: ٣٢].

إنها خطة إبليسية يتواصى بها حـزب الشـيطان: ﴿أتواصوا به بل هم قوم طاغون﴾ [الذاريات: ٥٣]، حتى تصل إلى أصل الـداء وجـذر البـلاء: ﴿إنّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفةً منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنّه كان من المفسدين﴾ [القصـص: ٤]؛ فكـانت النتيجـة: ﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ [الأحزاب: ٥٤].

وهكذا أدرك حزب الشيطان المَقْتَلَ الذي عرفه آل فرعون وجنوده؛ فتواصوا بالإفساد؛ وأخذوا يحولون المجتمعات إلى شراذم غارقة في التفرق والحزبية، مشـغولة ببعضها بعضاً كي لا تفيق؛ فتعرف الطريق؛ وتستمع إلى دين؛ وتفيء إلى يقين.

ويقف الرِّبيون الذين نجوا بفضل اللّه ومنته مـن سيل الحزبيـة العـرم الـذي نهش بنابه الجسم الواحد؛ فمزقه أيادي سبا على أطلال أمة يحاول الظالمون طمـس

معالم منهجها، وطريق عزتها الذي سلكه جيل القدوة الأول محمد والذين معه؛ حذراً أن يكون نبراساً يهدي من اتبع رضوانه للتي هي أقوم.. إنهم يُؤَذِّنون في الناس كل الناس: حيَّ على الإسلام والسنة بفهم سلف الأمة من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين؛ لأن الأساس هو الالتزام بالكتاب والسنة بما كان عليه الصحابة -رضي اللَّه عنهم-، وقيام المتأهِّل بالدعوة إليها على منهاج النبوة لا يخالفها باسم ولا رسم، ولا حقيقة ولا شكل، فإن هذا من معالم العبودية على هدي خير البرية: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى اللّه على بصيرة أنا ومن اتّبعني وسبحان اللّه وما أنا من المشركين﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال ابن قيم الجوزية -رحمه اللَّه-: «ولم ينسبوا إلى اسم؛ أي: لم يشتهروا باسم؛ فيعرفون به عند الناس التي صارت أعلاماً لأهل الطريق، -وأيضاً-؛ فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليه اسمه، فيعرفون به دون غيره من الأعمال، فإن هذه آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة، وأما العبودية المطلقة: فلا يُعْرَف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها؛ فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم، فلا يتقيد برسم، ولا إشارة، ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي، بل إن سئل عن شيخه؟ قال: الرسول، وعن طريقه؟ قال: الاتباع، وعن خرقته؟ قال: لباس التقوى، وعن مذهبه؟ قال: تحكيم السنة، وعن مقصده؟ قال: ﴿يريدون وجهه﴾ [الأنعام: ٥٢]، وعن نسبه؟ قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

فمن الناس من يتقيد بلباس لا يلبس غيره، أو بالجلوس في مكان لا يجلس في غيره، أو مشية لا يمشي غيرها، أو بزي وهيئة لا يخرج عنها، أو عبادة معينة لا يتعبد غيرها، وإن كان أعلى منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره، وإن كان أقرب إلى اللَّه ورسوله منه.

فهؤلاء محجوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلى، مصددون عنه، قيّدتهم العوائد والرسوم، والأوضاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة، فأضحوا عنها بمعزل، ومنزلهم منها أبعد منزل، فترى أحدهم يتعبد بالرياضة والخلوة وتفريغ القلب، وَيَعُدُّ العلم قاطعاً عن الطريق! فإذا ذكر له الموالاة في اللَّه والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عدَّ ذلك فضولاً وشرّاً، وإذا رأوا بينهم من يقوم بذلك أخرجوه من بينهم، وعدّوه غيراً عليهم، فهؤلاء أبعد الناس عن اللَّه، وإن كانوا أكثر إشارة، واللَّه أعلم».

رحم اللَّه ابن قيم الجوزية؛ فإنه يقول بما في صدورنا يجول، فقد بَلَوْنا هذا الحال المنقول عن أكثر الفرق والأحزاب التي أَسَرَتْها قيودُ الحزبية، وكتمت أنفاسها آصار السرية.

فإذا تقدم مسلم من خارج صفهم بنصيحة للَّه ورسوله، قالوا: مثبّط، ومشوّش، ومرجف؛ يريد تخريب الصف الإسلامي، وفتح الثغور لأعدائه.

وإن جاء ناصح من بينهم قالوا: متساقط على الطريق يريد التفريق، وخذلان الرفيق.

فيا ليت شعري! متى يعلمون: أن دائرة الإسلام أعمّ، وأخوة الإيمان أهمّ، ومنهج السلف الأول أعلم وأحكم وأسلم؟!!

بُنيّات الطريق

أول خطوات طريق الدعوة إلى اللّه على بصيرة -وهذا شرطها- ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى اللّه على بصيرة أنا ومن اتّبعني وسبحان اللّه وما أنا من المشركين﴾ [يوسف: ١٠٨] اعتزال سبل الشيطان وحزبه: اعتقاداً، ومنهجاً، وتربية، وسياسة؛ اعتزالاً لا يسمح بالتقاء في منتصف الطريق، ويستحيل معه التعاون إلا إذا انتقل أهل المنكر والشبهات والشهوات جملة وتفصيلاً إلى سبيل اللّه: ﴿ويسلموا تسليماً﴾ [النساء: ٦٥] فلا ترقيع ولا تمييع ولا تطبيع مهما تشكل المنكر وتزيّا بلبوس المعروف -وإن تنوعت الأشكال!-، وتراقصت الشهوات ذات اليمين وذات الشمال.

إن هذا الامتياز هو حجر الأساس عند داعي اللّه؛ لتستبين معالم الحق الذي يستحيل أن يلتقي مع باطل... وإن كنت في مرية؛ فتدبر قول الحق في البراءة من الشرك وأهله: ﴿قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين﴾ [الكافرون: ١-٦].

لقد نفى اللّه -سبحانه وتعالى- أنصاف الحلول في الحال: ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾، وفي الاستقبال: ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾، ثم أعلن محض الاعتزال: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾.

إن المسلم حاسم في موقفه من الدين لا يداهن ولا يلين؛ فهو يتلقى التوجيه من رب العالمين الذي فَصّل سبيل المجرمين وخطوات الشيطان، وطريق تفكيرهم، وغاية مسيرهم: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾ [النساء: ٢٧]، ﴿فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ [القلم: ٨و٩].

ولقد وضح رسولنا الكريم ﷺ هذا الأمر توضيحاً كافياً، وبينه بياناً شافياً، فلم يترك شيئاً خافياً؛ فقد ثبت من حديث عبدالله بن مسعود، وجابر بن عبدالله -رضي الله عنهم-: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ؛ فخط خطاً هكذا أمامه، فقال: «هذا سبيل الله -عز وجل-»، وخط عن يمينه وعن شماله، وقال: «هذه سبل الشيطان»، ثم وضع يده في الخط الأوسط، ثم تلا هذه الآية: ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[1].

وارجع النظر وأنعم الفكر في هذه اللوحة النبوية المنهجية تَسْتَبِنْ لك أمور:

١- سبيل الله واحدة لا تتعدد، ولا تتبدد، ولا تتجزأ، ولا تقبل تحويلاً ولا تبديلاً، وسبل الشيطان متكاثرة، متنافرة، متناحرة.

فهذا الحق ليس به خفاء فدعني من بُنَيّاتِ الطريق

٢- ليس بين سبيل الله وسبل الشيطان ممر ولا قنطرة ولا جسر؛ فليس هناك قاعدة مشتركة بينهما، فلا أنصاف حلول، ولا لقاء في منتصف الطريق.

٣- سبيل الله تظهر للعيان طويلة ولكنها توصل سالكها إلى غايتها، ومستقيمة إلى نهايتها، وسبل الشيطان تبدو قصيرة، ولكنها مؤصدة لا توصل إلى غاية، ولا تعرف لها نهاية، وسالكها يدور في حلقة مفرغة لا يعرف أولها من آخرها، ولن يعود ولو بخفي حنين.

٤- سبيل الله تورث سالكها التؤدة والتثبت؛ فلا تزلُّ قدمه بعد ثبوتها، ولا ينكث غزله من بعد قوة أنكاثاً؛ فيبلغ هدفه، وينال مراده، وأما سبل الشيطان؛ فتغري بالاستعجال الذي يقرب الآجال، ويحطم الآمال، فربّ عجلة تهب ريثاً.

---

(١) صحيح- أخرجه أحمد وابن حبان وغيرهما.

قـد يـدرك المتـأني بعـض حاجتـه وقـد يكـون مـع المسـتعجل الزلـل

فعليك أخا الإسلام والسنة باتباع سبيل الهدى، وإن قـلّ السـالكون، وإيـاك وسبل الهوى! وإن كثر الهالكون، وزخرفها المتهوكون.

القابضون على الجمر

ويقف الغرباء القابضون على الجمر على أطلال أمة محى الظالمون منهجها الذي نهضت به أول مرة، وطمسوا معالم طريق عزتها الذي سلكه جيل القدوة الأول وقرن الأسوة الأمثل: محمد والذين معه حذراً من أن يكون نبراساً يهدي من اتبع رضوانه للتي هي أقوم.

يقف هؤلاء النفر ممن هدى اللَّه؛ فيحس بوجوب السعي لانتشال أمته من تيهها الذي تهيم فيه سعياً وراء السراب الذي يظنه المستغربون المخدوعون من أبنائها ماءً حتى إذا بلغوه، وابتلعوه، وجدوا مرارة كدره، ولكنهم لم يستطيعوا أن يتقيؤوه.

وتدرك هذه الطائفة القائمة على أمر اللَّه أن لا مناص لها من التقدم للأخذ بقيادها وإن أبت، ولكنهم يجدون أنهم يعالجون أمراً لا يعين عليه إلا اللَّه: قد فني فيه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي حتى حسبوه ديناً لا يرون الحق غيره، حيث خدعهم بريق الأسماء التي ما زال صداها مسموعاً عبر الأجيال.

ولكن الحق عند القابضين على الجمر واحد، وهو الوحي، وما عداه؛ فهو هوى من الأهواء المذمومة التي لا تمدح في شيء ولا تلتحق بالحقّ، ولا يجوز لمسلم جعل هجرته للَّه ورسوله أن يحتكم إليه، أو يعول عليه، فماذا يفعلون: أيتركون الأمور تجري إلى أجل غير مسمى؟! أم يؤجلون أم يستعجلون؟!.

كلا؛ فهم سائرون قد هجم بهم العلم على حقيقة الأمر؛ فاستلانوا ما استوعر المترفون، وأنسوا مما استوحش منه الجاهلون، فهم على بيضاء نقية ليلها كنهارها، وآية كمالهم هؤلاء الغرباء الذين رفضوا حمأة الشهوة، وتحرروا من أوهاق

الطين، وقليل ما هم، ولكن القليل يؤدي إلى الكثير، والصبر الفاتح لما أغلق... فلا بد من الانطلاق؛ ليدركوا قصب السبق: «وفي كل قرن من أمتي سابقون»[1].

وهم يدركون أن انفرادهم في طريق طلبهم دليل على صدق طلبهم، فهم كما قيل:

مت بداء الهوى وإلا فخاطر واطرق الحي والعيون نواظر
لا تخف وحشة الطريق إذا سرت وكن في خفارة الحق سائر

ويكون المنكر يرقب تحركاتهم وسكناتهم، فهو لا يعيش إلا في غفلة منهم، ولا يصول إلا في نومهم.. وتبدأ محاولات الخداع، والمساومة والإقناع تحت أسماء زائفة من الحرية والديمقراطية، ويأبى الداعي إلى اللَّه أن ينصاع، ويستعلي أن تمر خطة الكيد؛ فيقف يؤذّن في الناس.. ولكن أكثرهم نيام.

إن وجود العصبة المؤمنة في الأرض، الكاملة العبودية للَّه، التي لم تتلوث بانحراف عن منهج اللَّه، ولا توانٍ عن قصده، هي من سنن اللَّه الجارية التي أكمل بها اللَّه -سبحانه- ميزان الخلق.

فأصحاب الدعوة إلى اللَّه وحده، وتطهير الأرض من الفساد الذي ملأها طُرّاً هم صِمَامُ الأمان للأمم والشعوب، وهذا يُبرز قيمة صبر القابضين على الجمر؛ ليكون الدين كله للَّه... إنهم لا يؤدون واجبهم لربهم ولدينهم فحسب، وإنما يَحُولُون بهذا دون أممهم وغضب اللَّه.

ولذلك فوجود الطائفة الربانية في هذه الأرض حَتْمٌ مقضيٌّ؛ لن تزول لكمامة أعدها طاغية، أو سوط رفعه زبانية، أو خطة ترويض نسج خيوطها داهية.

---

(١) كما قال رسول اللَّه ﷺ، وانظر -لزاماً- «الصحيحة» (٢٠٠١) لشيخنا محدث العصر الألباني -رحمه اللَّه-.

وهذا هو مصدر إصرار المسلم على المضي في الطريق المملوء بالجمر، يتعرض لأصناف العذاب؛ فيتضاعف له الأجر، ويتساقط من حوله الخاذلون -ولن يضروه- فيكون قائده الصبر، وإنه لموكب لن ينقطع -أبداً- حتى يتم اللَّه نوره، ويكبت الباطل وشروره، مضى به القول على لسان النبي ﷺ، ولتعلمن نبأه بعد حين.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

غربة الإسلام

إن غربة الإسلام وقعت في أعصارنا المتأخرة؛ كما حدثت في بداية البعثة النبوية، حتى أضحى المسلم غريباً بين أهله وإخوانه، منبوذاً بين عشيرته الأقربين وأقرانه؛ لأنه يدعوهم إلى أعلى الدرجات وهم يشدُّونه إلى حمئة وبيئة من الشهوات والشبهات.

ولكن الغريب يعود إلى سيرة أول هذه الأمة يتنسّم أنفاس الغرباء الذي أضناهم السُّرى في بيداء العوائد، ولفحهم سَمُومُها، واجتاحتها بيدها السافيات، ودمدم في كيانهم اليباب، واكتنف أرواحهم الصقيع، وصك وجوههم زيف التيار، حيث ينقلون خطاهم على الرمال المحرقة، وتحت وهج الشمس الملتهبة؛ يكتالون الريح من كل حدب وصوب، وقد هدَّهم اللُّغوب، وقد تلظَّت الهاجرة، فراحوا يَنْشُدون السلسبيل عساهم يستقبلون واحة خصبة، وارفة الظلال، رقراقة النبع، نَدِيَّةَ النسيم، تتحدَّى الجو القاسي من حولها بما تنفث من شذى يفعم أرجاء الوجود صلاحاً وإصلاحاً؛ فسقط عليها؛ فهدؤوا إلى السكينة والقرار والطمأنينة عبر مفازات الضواري وأدغال الكواسر.

أفيكم من لا يحتضنها بحبات القلوب، ويوسِّدها أهداب العيون، ويسقيها من دمع المآقي؟!

كواحد ممن سملت أعينهم؛ كي لا ترى الشمس في رابعة النهار، وضرب على آذانهم سنين عدداً كي لا تسمع حداء العنادل المنبعث من وراء الأبعاد، المتهادي من أبعاد الأفق المديد، الهاتف أن وراء الليل فجراً جديداً يملأ الشعاب والأودية ورؤوس الجبال بنوره المستطير... فَرُحْتُ أتابع المد الإسلامي وأرقب اليقظة الإسلامية بحرص وحذر؛ أحرص على ذلك؛ لأني جزء منها أعلم علم

اليقين أن الدعوة إلى الله -عز وجل- من أعظم الطاعات وأجلّ القربات: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ [فصلت: ٣٣].

وأحذر؛ حيث أرى كثيرين ممن ينتسبون إلى الدعوة الإسلامية لم يبصروا التحديات التي تعترض طريقهم، ولم يكتشفوا الآفات التي تجهض مسيرتهم، ولم يدركوا المزالق والأخاديد التي حُفرت تحت أقدامهم؛ فوقعوا في الشِّراك، وكانوا صيداً ثميناً لتلك الشِّباك.

وهأنذا أشارك في بيان موطن الداء، وأشير إلى مصدر الخلل؛ ليكون ذلك قوة للمسترشد، وبياناً للمتحير، وتبصرة للمهتدي، ومقتلاً للخرَّاصين، ونصحاً لإخواني المسلمين، وحرصاً على الاستمرار والثبات على سبيل المؤمنين، والمعيار في ذلك كله: كتاب اللَّه المبين، وما صح من سنة سيد المرسلين، بفهم صحابته الغُرِّ الميامين -رضي اللَّه عنهم أجمعين-.

إن التحديات التي تواجه الداعي إلى اللَّه نوعان:

الأول: التحديات الداخلية.

الآخر: التحديات الخارجية.

أما التحديات الداخلية؛ فأبرزها في العصر الحاضر.

١- الفوضى العلمية والجهل بالمقاصد الشرعية:

تلف العالم الإسلاميَّ فوضى علميةٌ ضربت بأطنابها في أرجائه، وأناخت بكلكلها في جميع أنحائه، وهي ظاهرة للعيان في الفتيا والسياسة الشرعية ونشر تراث السلف العلمي:

ففي مجال الفتيا ترى كثيراً من المفلسين من العلم يراجع مسألة أو مسألتين؛ فإذا كان في مجلس فيه من يشار إليه أثار البحث فيهما؛ ليظهر علمه، وإذا سئل غيره تهافت على مقام الفتيا.

وآخرون لما يلحقوا بهم لبسوا عباءة الفتيا؛ فترى أحدهم يفتي وينظِّر ويصنف ويقرر بدعوى: أنه لا يوجد قيّم على الإسلام، ولا كهنوت في الدين!!

إن هذا التعليل العليل مخيف ومحزن ومُخْزٍ في آن واحد:

محزن أن ترى من يجهل الضروريات يفتي في المعضلات؛ لأنه يظن أن الجرأة على الفتوى دليل الرسوخ، وأمارة التأهل، وهي عكس ذلك.

قال سفيان بن عيينة -رحمه اللَّه-: «أجسر الناس على الفتيا أقلّهم علماً».

ومخيف؛ لأنه ظهر في الإسلام أمر عظيم؛ فقد بكى ربيعة الرأي يوماً، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ظهر في الإسلام أمر عظيم؛ استُفتيَ من لا علم له، ولذلك قال: «لبعض من يفتي ها هنا أحق بالسجن من السُّرَّاق».

ومخزٍ؛ لأن فيه سوءات؛ أقلها أن يعلم أن الناس يعلمون حقيقته، وللَّه در القائل:

من تحلّى بغير ما هو فيه ... فضحته شواهد الامتحان

وجرى في العلوم جَرْيَ سُكَيْتٍ ... خلّفته الجياد يوم الرهان

وقد قيل: العلم ثلاثة؛ من دخل الشبر الأول؛ تكبر، ومن دخل الشبر الثاني؛ تواضع، ومن دخل الشبر الثالث؛ علم أنه ما يعلم.

فاحذر يا عبداللَّه أن تكون أبا شبر؛ لأنه من تصدَّر قبل أوانه، فقد تصدى لهوانه.. وليتذكّر هؤلاء قول اللَّه -تعالى-: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ [آل عمران: ١٨٨].

ومما يبعث الأسى في قلب الداعي إلى اللَّه أن كثيراً من هؤلاء المفلسين يعملون في تجمعات إسلامية، أو يقودون جماعات حركية، أو جمعيات حزبية، ولك -حينئذ- أن تتصور حال تلك التجمعات والجماعات والحركات ومآلها (!).

وأمَّا مجال السياسة الشرعية؛ فكم من مسألة شغلت الأمة الإسلامية سنوات معدودات، وأعيت العلماء الثقات، قال فيها أنصاف الفقهاء قولاً إدّاً؛ فاستباحوا الدماء، واستحلوا الفروج بأخبث حيلة؛ وأخس وسيلة.

وفي ميدان نشر تراث السلف الصالح العلمي نشأت نابتة؛ نبتت أشجارها في أرض جرداء، فراموا البروز قبل النضوج، وتزبَّبوا قبل أن يحصرموا، وتصدروا قبل أن يتأهلوا، وطيَّروا قبل أن يريشوا، فاقتحموا قمم عدول السابقين تحت راية نشر تراثهم، وتحقيق تواليفهم؛ فحلُّوا في رحاب العمل مِعْوَلاً يهدم حماه، ويخرق سياجه.

ولقد زاد تنمُّرَهم؛ إقبالُ العامة على مجالستهم تعجُّباً، وإلقاء السمع إلى قصصهم طرباً.

وقوَّى توثُّبَهم تساقط تجار الفكر على نتاجهم؛ لتبذُّلهم، وفَتَحَتْ دكاكين الكتب أبوابها؛ لرخصهم!!

بينما المخلص يقلِّب كفيه تأسفاً، وحزناً؛ لانفتاح باب الفتنة التي صرعت عدة المستقبل، ورجاء الغد في أحضان الأدعياء.

ولكن لا تغرنكم البرقة؛ فإنها فجر كاذب، ولا تهولنكم المفاجأة؛ فإن الجهابذة ينخلوهم نخلاً، ويقولون فيهم قولاً فصلاً ليس هزلاً، تحقيقاً لمصدوق رسول اللَّه ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عُدُولُه؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[1].

فينبغي على أهل العلم بالكتاب والسنة أن يبادروا أخذ مكانهم في توجيه العاملين للإسلام؛ فهم قادة هذه الأمة؛ فإن ركنوا إلى الدنيا، وتخلفوا عن الركب

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٧).

فمن يوجه هذا الطوفان الهادر من الشباب المسلم الذي يرنو ببصره، ويهفو ببصيرته؛ إلى عزة الإسلام وسيادته، وإعادة مجده وريادته؟!

وليمتشق أهل العلم حسام العلم، ويتسنَّموا غارب الحقِّ؛ ليذبُّوا عن الإسلام براثن الشرك والخرافة؛ ويَنْزُكوا أدعياء الثقافة؛ ليعود الدين صافياً نقياً يتلألأ بثوب الرسالة؛ كما أنزل على قلب محمد ﷺ.

٢- الغلو والتنطع:

إن البصيرة الخفاشية بحقيقة الدين، والبضاعة المزجاة في الفقه، والجهل المركّز بمقاصد الشرع كلها تتمخض؛ فتلد الغلو والتنطع؛ لأن صاحب ذلك يظن أنه من زمرة الفقهاء، وهو من جملة السفهاء.

وقد نبّه العلاّمة الأصولي أبو إسحاق الشاطبي -رحمه اللَّه- على هذه الحقيقة الدقيقة؛ فقال: «أن يعتقد الإنسان في نفسه؛ -أو يُعتقد فيه- أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين -ولم يبلغ تلك الدرجة- فيعمل على ذلك، ويعد رأيه رأياً، وخلافه خلافاً.

ولكن -تارة- يكون ذلك في جزئي وفرع من الفروع، -وتارة- يكون فيه كلي وأصل من أصول الدين -كان من الأصول الاعتقادية أو من الأصول العلمية- فتراه آخذاً ببعض جزيئات الشريعة في هدم كلياتها، حتى يصير منها إلى ما ظهر له بادئ رأيه من غير إحاطة بمعانيها ولا رسوخ في فهم مقاصدها.

وهذا هو المبتدع، وعليه نبّه الحديث الصحيح أنه ﷺ قال: «لا يقبض اللَّه العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء؛ حتى إذا لم يَبْقَ عالمٌ اتخذ الناس رؤوساً جهالاً؛ فسُئلوا؛ فأفتوا بغير علم؛ فَضَلّوا، وَأَضَلّوا»[1].

---

(١) متفق عليه.

قال بعض العلماء: تقدير الحديث يدل على أنه لا يُؤتى الناس قط من قِبَلِ علمائهم، وإنما يؤتون من قبل إذا مات علماؤهم أفتى من ليس بعالم؛ فيؤتى الناس من قبله، وقد صُرِّف هذا المعنى تصريفاً حسناً فقيل: ما خان أمين قط، ولكنه ائتمن غير أمين؛ فخان، قال: ونحن نقول: ما ابتدع عالم قط، ولكن استفتي من ليس بعالم؛ فضلّ وأضلّ»[1].

إن أبا شبر يركب قُرقُور الغرور الذي يقصم الظهور، ويمتطي العجب الذي هو أحقر ذنب؛ فيتناول العلماء بالعيب والثلب، ويملأ جَعْبَتَهُ بالشبهات، ويخطف من الأحكام خطفة دون تأمل وروية، لأن قراءته لم تجاوز حنجرته، ولن تبلغ ترقوته.

وهذه سمات جماعات الخروج ودعاة الغلو قديماً وحديثاً؛ كما أخبر الصادق المصدوق: «... فجاء رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كثّ اللحية محلوق، فقال: اتق اللَّه يا محمد، فقال ﷺ: «من يطع اللَّه إذا عصيت؟ أيأمنني اللَّه على أهل الأرض ولا تأمنوني»؟ فسأله رجل قَتْله؛ فمنعه، فلما ولّى قال ﷺ: «إن مِن ضِئْضِئِ هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرميّة، يقتلون أهل الإسلام ويَدَعُون أهل الأوثان؛ لئن أدركتُهم؛ لأقتلنهم قتل عاد»[2].

ومن لم يضع الأدلة في محلها ضلت راحلته في بيداء الأهواء المقفرة، وعَمِيَ عن طريق الهدى المبصرة، فتراه يشرّق -مرة- ويغرّب -أخرى-، ويخبط خبط الوحش في البرية.

---

(١) «الاعتصام» (٢/ ٦٧٩-٦٨٠-بتحقيقي).

(٢) متفق عليه.

... تأمل إلى الخوارج كيف مرقوا من الدين وفارقوا جماعة المسلمين؛ لأن رسول اللَّه ﷺ أخبر أنهم: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم»؛ فهم لا يفقهون القرآن ولا يعون السنة، فكانت النتيجة الحتمية: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان».

لقد وقعت جماعات الغلو ودعاة الخروج قديماً وحديثاً في الدَّرْك الأسفل من التنطع، فأطلقوا أعنة ألسنتهم في تكفير المسلمين وسفك دمائهم واستباحة **أعراضهم**، بينما تراهم يعيشون في ديار الغرب الكافر كما يحلو لهم... يقتلون أهل **الإسلام**، ويوادّون أهل الصلبان والأوثان(!)

... ولا يظن ظان أن فتنة الخوارج -قطع اللَّه دابرهم- اندثرت وسلسلتهم انقطعت، كلا، ففي كل قرن منهم طائفة حتى يخرج في أعراضهم الدجال الأكبر؛ كما أخبر بذلك الصادق الأمين: «ينشأ نشء يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قَرْنٌ قُطِعَ حتى يخرج في أعراضهم الدجال»[1].

قلت: المراد بـ«أعراضهم» هو الجيش العظيم، وفيه إشارة أنهم يخرجون على المسلمين بجيش عظيم وجنود مجندة؛ كما هو مُشاهَدٌ على امتداد ساحة العالم الإسلامي.

وفتنة الغلو التي تربع على قمتها الخوارج قديماً وحديثاً هي محرك الفتن وباعث الاختلاف في كل عصر؛ كما في حديث أبي بكرة: أن النبي ﷺ مر برجل ساجد -وهو ينطلق إلى الصلاة-، فقضى الصلاة ورجع عليه وهو ساجد؛ فقام النبي ﷺ فقال: «من يقتل هذا»؟ فقام رجل، فحسر عن يديه؛ فاخترط سيفه وهزّه؛ ثم قال: يا نبي اللَّه، بأبي أنت وأمي، كيف أقتل رجلاً ساجداً يشهد أن لا إله إلا

---

(١) صحيح - أخرجه ابن ماجه بإسناد صحيح.

اللَّه وأن محمداً عبده ورسوله؟! ثم قال: «من يقتل هذا؟» فقام رجل فقال: أنا؛ فحسر عن ذراعيه، واخترط سيفه وهزه حتى أرعدت يده، فقال: يا نبي اللَّه كيف أقتل رجلاً ساجداً يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً عبده وسوله؟ فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لو قتلتموه؛ لكان أول فتنة وآخرها»[1].

وله شاهد من حديث أنس بنحوه وزاد: فقال رسول اللَّه ﷺ: «أيكم يقوم إلى هذا؛ فيقتله؟» قال علي: أنا، قال رسول اللَّه ﷺ: «أنت له إن أدركته»، فذهب علي فلم يجده، فرجع. فقال رسول اللَّه ﷺ: «أقتلت الرجل؟» قال: لم أدر أين سلك من الأرض؟! فقال رسول اللَّه ﷺ: «إن هذا أول قرن خرج من أمتي، لو قتلته؛ ما اختلف من أمتي اثنان»[2].

تدبر كيف يخبر الرسول ﷺ عن بلاء الغلو وداء الخروج وأنه الباعث على كلِّ شرٍّ حتى قيام الساعة...

ومواجهة فتنة الغلو والخروج لا تكون بالزجِّ في السجون وفتح أبواب المعتقلات، بل هذا يزيدها ضراوة واشتعالاً... وهل وُلدت ظاهرة التكفير المعاصرة إلا في أحضان المعتقلات وأقبية السجون؛ لأن دعاة الغلو وجماعات الخروج عندما ترى نفسها مطاردة ومشردة ومعرضة للقتل والتعذيب؛ يزداد اعتقادها أنها على الحقِّ، وهي ليست كذلك.

إن علاج هذه الظاهرة الخطيرة يكون بالأمور الآتية الثابتة عن سلف الأمة الصالح -رضي اللَّه عنهم-:

١- عدم بَدْء هذه الجماعات بالقتال.

---

(١) صحيح - أخرجه أحمد بإسناد صحيح.

(٢) حسن - أخرجه أبو يعلى في «المسند» وهو حسن.

٢- فتح أبواب الحوار والمناظرة العلمية -بضوابطها الشرعيّة-، ويتولى ذلك العلماء الربانيون الراسخون في فقه الكتاب والسنة؛ ليزيحوا عنهم الشبهات، ويقيموا عليهم الحجج البالغات، حقناً لدماء المسلمين والمسلمات، وجمعاً لكلمتهم خوفاً من الشتات.

٣- عند (الاضطرار) إلى مجابهتهم بالقوة يُعامَلون معاملة الفئة الباغية.

عن ابن عباس قال: لما خرجت الحرورية (أي: الخوارج)؛ اعتزلوا في دار، وكانوا ستة آلاف، وأجمعوا على أن يخرجوا على عليّ، فكان لا يزال يجيء إنسان فيقول: يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك، فيقول: دعوهم؛ فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني، وسوف يفعلون. فلما كان ذات يوم؛ أتيته قبل صلاة الظهر فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة، لعلي أكلم هؤلاء القوم، قال: فإني أخافهم عليك، قلت: كلا، وكنت رجلاً حسن الخُلُق، ولا أُوذي أحداً (ثم ذكر مناظرته لهم) فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم، فقتلوا على ضلالتهم، قتلهم المهاجرون والأنصار[1].

٣- الاستعجال.

أكثر الناس يطلبون وقوع الأمر قبل وقته؛ لأنهم فقدوا الصبر والأناة التي يفرزها المنهج الرشيد والقول السديد، فتراهم يزرعون في الغُدُوّ؛ ليحصدوا في العشي.

---

(١) صحيح - أخرجه أحمد وعبدالرازق في «المصنف» وغيرهما بإسناد صحيح؛ صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وقد استوفيت تخريج طرقه وشواهده في كتابي: «مناظرات السلف» (ص٩٥-٩٦).

وأخطر ما يواجهه الدعاة هو استعجال النصر قبل التمكُّن من أسبابه، على افتراض أن القاعدة الإسلامية المؤهلة للاستخلاف والتمكين موجودة بالفعل، وأن المطلوب ليس تكوينها؛ وإنما هو تجميعها، وبث الحركة فيها، وتوجيهها إلى الهدف المطلوب.

وغرَّ هؤلاء الاستجابةُ الواسعةُ التي تلقاها دعوتُهم من الجماهير؛ سواء أكانت في محاضرة أو ندوة أو مسيرة احتجاج أو مهرجان خطابي أو برلمان أو إضراب مما لا يقره فقه السنة والكتاب وفهم الأصحاب! وغفل هؤلاء عن حقيقة هذه الاستجابة وأنها عواطف جياشة، وحماس ملتهب، وفقاقيع صابون ينقصها الفهم الحقيقي المطلوب الذي يصل إلى درجة العلم: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [محمد: ١٩٠]، ويحتاج إلى البصيرة الواعية: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ [يوسف: ١٠٨]، ويلزمه الاعتزاز بالإسلام عقيدة ومنهجاً: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ [فصلت: ٣٣]، فاندفع القوم يستقطبون جميع الاتجاهات ويُرْضُون كل الأذواق، فصار بناؤهم هشاً مهلهلاً من الداخل؛ فخر عليهم السقف من فوقهم عندما مادت الأرض من تحت أقدامهم، فإذا بك ترى الجماعة جماعات، والحزب أحزاباً، والدار العامرة خراباً يباباً(!)

إن الاستعجال آفة خطيرة حذر منها رسول الله ﷺ؛ كما في حديث خباب ابن الأَرَتّ -رضي الله عنه-: «ولكنكم تستعجلون»[1].

---

(١) أخرجه البخاري.

لقد بلغ أذى المشركين برسول اللَّه ﷺ وصحبه أَشُدَّه، ووصل غايته، فجاء خبّابٌ إلى رسول اللَّه ﷺ يحضُّه أن يدعو لهم.. «ألا تدعو اللَّه لنا ألا تستنصر لنا؟»؛ فَعَدَّ رسول اللَّه ﷺ ذلك استعجالاً.. وهو مأمور بعدم الاستعجال: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وهذا توجيه لرسول اللَّه ﷺ، وهو الذي احتمل ما احتمل وعانى من قومه ما عانى حتى قال -عليه الصلاة والسلام-: «ما أُوذي أحدٌ في اللَّه مثلما أُوذيتُ»[1].. ألا إنه طريق شاق.. طريق الدعوة إلى اللَّه.. وطريق مرير، حتى إنّك لتحتاج نفساً كنفس رسول اللَّه ﷺ في تجردها وانقطاعها للدعوة، وفي ثباتها، وفي صلابتها، وفي صفائها؛ تحتاج إلى هذا التوجيه الرباني بالصبر وعدم الاستعجال على خصوم الدعوة، ومن ثم يفيض رسول اللَّه ﷺ هذه التربية الربانية على أصحابه؛ ليعلمهم الصبر واليقين، وبهما يكون التمكين: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة: ٢٤].

ورحم اللَّه شيخ الإسلام ابن تيمية القائل: «بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين».

وليتدبر المستعجلون هذه الحكمة: «من تعجل الشيء قبل أوانه؛ عوقب بحرمانه»، «ومن تصدّر قبل أوانه؛ فقد تصدى لهوانه».

٤- الاختلاف والتفرق:

---

(١) حسن؛ كما في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٢٦٠/ ٢٢٢٢).

الاختلاف واقع في هذه الأمة لا محالة: ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ [هود: ١١٨ و١١٩].

والعاملون للإسلام ليسوا بمنأى عن الخلاف، ولذلك؛ فإنه لا يجوز إخفاء الخلاف أو كتمانه أو التستر عليه أو تجاهله؛ لأن الحقيقة لا بدّ أن تظهر مهما عُمل على تأجيلها، ولأن معرفة مواطن الزلل ومواضع الخلل حقٌّ كلِّ المسلمين؛ ليكونوا على بينة من أمرهم، فلا يكرروا المشكلة نفسها، ولا يقعوا في المصيدة ذاتها.

إن إخفاء الخلاف والظهور بمظهر الوحدة والائتلاف؛ من سنن المغضوب عليهم والضالين؛ حيث وصفهم الله في كتابه الكريم: ﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ [الحشر: ١٤].

حقّاً لو كانوا يعقلون؛ لعملوا على اجتثاث الخلاف من جذوره؛ فتوحدوا، ولم يقروا الخلاف، ويظهروا أمام خصومهم على غير حقيقتهم؛ فإذا مادت الأرض من تحتهم تشتّتوا.

ولذلك؛ فإن الدعوة إلى إخفاء الخلاف والتستر عليه؛ دعوة للسير على سنن اليهود والنصارى الذين أَمَرَنا الله بمخالفتهم، وحذَّرَنا رسولُ الله ﷺ من مشابهتهم واتباع آثارهم.

وإخفاء الخلاف أمر مهلك للأفراد والجماعات، وسبب لانقراض المجتمعات، وسقوط الحضارات، ومورث لِلَّعْن الذي لحق ببني إسرائيل بسبب عدم تناهيهم عن المنكر: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ [المائدة: ٧٨ و٧٩].

إن معرفة مواطن الخلل وتصحيحها؛ هي سلامة في البناء، وصلابة في القاعدة، وإقامة للمجتمع على تقوى الله ورضوانه.

وإن التستر عليها، والسكوت عنها؛ بحجة عدم التشويش في الوسط الإسلامي، وعدم خلخلة الصف المؤمن(!) من أوهام الإنسان وتشويش الشيطان؛ فلا بدّ من وجود طائفة تقوم بعملية الحسبة داخل الصف الإسلامي؛ لتقوّم الاعوجاج وتصحّح الانحراف منذ البداية: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلّكم تهتدون . ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالّذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ [آل عمران: ١٠٣-١٠٥].

إذاً؛ لا بدّ من فتح باب الحوار والنقد والمناصحة على مصراعيه؛ لتصب كلّ الخبرات في مجرى الحياة الإسلامية، وتسد الثغرات، ويشعر جميع العاملين بالرّقابة التي تحققها ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن عملية النقد والمناصحة والتقويم والمراجعة ليست بدعاً جديداً في المجتمع الإسلامي؛ بل إن المنهج القرآني، والتدريب النبوي، الذين صاغا الجيل الرباني؛ بلغا الذروة في ذلك المدى الذي لم يدع مجالاً للشّكّ والالتباس والتخوّف.

لقد تناولت عملية التصحيح والتقويم الرسول القدوة ﷺ في بعض ما رآه قبل أن ينزل الوحي، ومع ذلك لم يكتم رسول الله ﷺ شيئاً من ذلك، وكذلك عرض القرآن جوانب الخطأ والتقصير على مستوى الفرد والجماعة عندما كان يربي النبيُّ ﷺ الجيل الرباني الفريد، ليكون جيل القدوة الأمثل.

إن حراسة القضية الإسلامية وبناء قاعدة المجتمع الإسلامي الصلبة، وتربيتها على الإسلام الصحيح إنما كانت بالتقويم الدائم، والتبصير بالأخطاء؛ ليتم استدراكها؛ فتستقيم المسيرة الإسلامية حتى تبلغ غايتها بإذن ربها.

إنه المنهج القرآني المعجز، المتمثل في السلوك النبوي الخالد، الذي يتلى على الأمة الإسلامية جهاراً نهاراً؛ لتبصر منهج حركتها، وتتجنب الأخطاء والأخطار في مسيرتها، وتلتزم النصح لنفسها، لا تحيد عنه لأي سبب أو توهُّم.

لقد طبق جيل القدوة النصح على أعلى المستويات وأدناها؛ فالنصح شرعة تعبدنا الله بها لمن خلصت نيته، وصفت سريرته وطويته؛ كما قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

ولكن بعض الناس الذين تحفزهم الغيرة على المصلحة الإسلامية، والإخلاص للعمل الإسلامي، لا يريدون أن يتم النصح تحت أشعة الشمس؛ بحجة أن ذلك يمكّن للأعداء من معرفة أسرار المسلمين، ومن ثم الانقضاض عليهم.

إن هؤلاء القوم تختلط في تصورهم طرائق النصح للفرد لتصحيح بعض قصوره أو خطئه، والتي يجب أن تتم في دائرته؛ وإلا خرجت لتصير تشهيراً وتعييراً، وطرائق النصح للفرق والطوائف والجماعات والأحزاب والمذاهب ذات التوجه العام، حيث يتمّ النصح لها بصورة جلية؛ لأن المصلحة الإسلامية تهمُّ جميع المسلمين.

واعلم -أيها الأخ في الله-: أن أعداء الإسلام الذين نالوا منا ما نالوا، أعرف منا بأخطائنا؛ لأنهم ما بلغوا منا ما بلغوا، وحققوا ما ابتغوا إلا من خلال ضعفنا وأخطائنا، وهم لا يزالون يتسللون من خلالها لواذاً؛ فيأتون الإسلام ودعاته من قبلها، ويعملون على تنميتها وتثبيتها واستمرارها، وعدم قدرتنا على إبصارها، وتخويفنا من معالجتها، والمتأمل في الواقع يدرك صحة ما أقول.

---

(١) أخرجه مسلم.

إن الإبقاء على الأخطاء، وعدم كشفها، وتبصير الجيل المسلم بها، وعدم معالجتها مهما تعددت الأسباب؛ لتودي بالعمل الإسلامي كلما بلغ أشده، واستوى على سوقه؛ لكن قبل أن يبلغ رشده!.

إن فلسفة التسويغ، وعدم المناصحة، لا تقتصر على تدعيم أركان الأخطاء ونموها؛ وإنما تعمل على تكرارها؛ لذلك؛ فالخطورة تَكْمُنُ في قبول الخطأ والرضى به، وليست الخطورة في بيانه ومعالجته.

إن كثيراً من الذين يَحْذَرون عملية النقد والنصح ويُحَذِّرون منها؛ لا نشك في إخلاصهم، ولكننا نشك في إدراكهم للحقّ والصواب، ولذلك؛ فإن الإخلاص وحده لا يكفي لبلوغ الغاية؛ كما قال عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- لأفراخ الخوارج: «وكم من مريد للخير لن يصيبه»[1] ومع ذلك فقد قالوا له: «والله يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخير».

إن عملية النصح لا تقلّ أهمية عن الإخلاص؛ بل هي الإخلاص نفسه!

لقد كان منهج المحدثين الذين أخذوا على عاتقهم -بتوفيق الله لهم- القيام بالدفاع عن السنن؛ فوضعوا علم الجرح والتعديل[2]، هذا العلم الذي لو التزمه المسلمون العاملون المعاصرون في حياتهم؛ لكانوا أقرب للصواب، فبعض الرواة الذين كانوا أنضاء عبادةٍ -آناء الليل وأطراف النهار- رُدَّت روايتهم؛ لعدم قدرتهم

---

(١) أخرجه الدارمي وغيره بسند صحيح.

(٢) لقد كان علم الجرح والتعديل في الصدر الأول ضرورة شرعية؛ لحماية الشريعة الغراء، والذب عن المحجة البيضاء، وتمييز أهل الحق والسنة من أهل الباطل والبدعة والأهواء، وهو كذلك في كل الأعصار وجميع الأمصار حتى يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، ولكن للمتأهل العالم بأسباب الجرح والتعديل، العارف بما يحفظ العقيدة والمنهج والسلوك من الانحراف، أو الارتماء في محاضن الذين يصطادون في الماء العكر، بل الذين يعكرون الماء؛ ليصطادوا فيه!!

على الضبط أو لسيطرة الغفلة عليهم، ولقد بلغ الإخلاص ببعضهم أن يضع أحاديث لم ترد عن النبي ﷺ، وعندما سئلوا عن قوله ﷺ: «من كذب علي متعمداً؛ فليتبوأ مقعده من النار»[1] قالوا: نحن ما كذبنا عليه، وإنما كذبنا له! فردّ عليهم أهل العلم، وبيّنوا كمال جهلهم.

قال العلامة الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: «وهذا من كمال جهلهم، وقلّة عقلهم، وكثرة فجورهم وافترائهم؛ فإنه ﷺ لا يحتاج في كمال شريعته وفضلها إلى غيره»[2].

قلت: فكان ذلك محض رفض، لأن الكذب له كالكذب عليه، ولا فرق، ولو اختلفت الدوافع؛ فإن النتائج واحدة، والأعمال بخواتيمها.

وليعلم هؤلاء النفر؛ أنّهم كالأمّ الرؤوم التي بلغت بها غيرتها ومحبّتها لوليدها الوحيد؛ إلى عدم تقويم سلوكه وتربيته حفاظاً على شعوره، فلما بلغ السعي؛ أَلْفَتْهُ عاجزاً عن حلّ مشكلاته؛ فقابل برها بالعقوق.. هذه المحبة الناقصة تؤدي إلى هلاكه؛ لأن الأم الجاهلة حالت بينه وبين من يتعهده ويرعاه؛ خشية أن يخاف من مقابلته، أو يتألم من علاجه.

ولذلك لا بدّ من وجود الطائفة المنصورة القائمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الوارثة عن رسول الله ﷺ وجيل القدوة الأول الدين بقضّه وقضيضه، المستمرة في الثبات عليه، غير خائفة لومة لائم، ولا شماتة شامت، حتى يأتي أمر الله لهم بالنصر والتأييد؛ تحقيقاً لموعود رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي

---

(١) متواتر.

(٢) «اختصار علوم الحديث» (ص٧٩).

ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم، حتى يأتي أمر اللَّه وهم على ذلك»[١].

وأما التحديات الخارجية؛ فأبرزها:

١- الدعوة إلى تمييع الولاء والبراء.

وبرزت هذه الدعوة بين المسلمين وغيرهم، على الساحة العالمية بشكل مؤتمرات وندوات ما يسمى: «الحوار الإسلامي النصراني»، أو «الإبراهيمية» التي تدعو إلى مزج الديانات اليهودية والنصرانية والإسلامية.. لقد تداعت الأمم وهيئتها على ديار الإسلام[٢] حتى كثرت الأخلاط؛ فَسَرَتْ في جسم الأمة أمراضُ التميُّع العقدي والسلوكي، تحت شعارات براقة، ودعاية مضللة من نبذ التعصب؛ ومحاربة التطرف، وقمع الإرهاب، والأخوّة في الإنسانية، والتعايش بين أبناء إبراهيم؛ فانفرط العقد، وسقطت واسطته في الشرك بلا ثمن، وثار الدَّخن، وظهرت الإِحَن... فرفع الذين في قلوبهم مرضٌ عقيرتَهم: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين﴾ [المائدة: ٥٢].

وهذه الكلمات تحصن المسلم؛ ليبقى في عرينه، ولا يغادره؛ فيألف العيش على الدِّمَنِ.

ألم يسمع هؤلاء المتهوّكون قوله -تعالى-: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً﴾ [المائدة: ٦٧]؟!

---

(١) متواتر.

(٢) انظر كتابي: «بدائع الحكم المنتقاة من حديث تداعي الأمم».

وقوله: ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ [البقرة: ١٣٥].

ألم يتدبر أولئك الخلوف قول اللَّه -عز وجل-: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ [المائدة: ٨٢]؟!

ألم يأن للمتغافلين أن يعلموا الحقيقة: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ [البقرة: ١٢٠]؟!

وظهرت هذه الدعوة بين أهل السنة والجماعة والفرق على الساحة الداخلية تحت عناوين: «الوحدة الإسلامية»، و«التقريب بين المذاهب»، «نتعاون فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه»!.

وهذه إشارات للذين أصيبوا بعمى الألوان؛ ففقدوا القدرة على التمييز، وظنوا أن الخطوط كلها مستقيمة... ولكن قيل في الأمثال القديمة: «لا يستقيم الظلّ والعود أعوج...»؛ ولذلك لن يختلط -بإذن اللَّه- الحق الأبلج والباطل اللَّجلج.

٢- تحجير مفهوم الدين، وتحجيم سلطانه.

لقد عرف صانعو المكر العالمي عمق الإسلام في نفوس أتباعه؛ فأيقنوا أن محاولة اقتلاعه مصيرُها الفشلُ الذريعُ، ولذلك عمدوا إلى صنع دعاة مشوَّهي الفكر، ممسوخي الشخصية، ثم وسَّدوا إليهم الأمر في ديار الإسلام بعد ما نَمَوْا وترعرعوا في أحضانهم ومحاضنهم وشربوا لُبانهم حتى الثمالة... وحتى يضمن صانعو المكر العالمي التفاف عامة الناس حول رجالهم؛ فهم لا يفتؤون إلى تلميعهم، وخصف الألقاب الرنانة؛ لتخفي سوآتهم... ثم أخذ هؤلاء المصنوعون في الترويج إلى الإسلام الانتقائي الذي يتفق مع خطط أولياء نعمتهم؛ فزعموا أن الإسلام دائرته الرسمية المسجد، وتطبيقه في المحاكم الشرعية، وأما باقي أمور الحياة؛ فالناس أعلم بها وأحرص على ما ينفعهم(!).

الإسلام في نظر هؤلاء لا يعرف إلا في افتتاح مسجد؛ أو آيات يفتتح بها مهرجان.

الإسلام في نظر هؤلاء هو عبادة المواسم؛ وخطب المراسم.

يروي التاريخ قصة وقوع «لويس التاسع» في الأسر، أثناء الحروب الصليبية الأولى، حيث سجن في «المنصورة» من أرض الكنانة في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب، فجعل يفكر -وهو سجين- كيف يكسر شوكة المسلمين القوية وقتئذ، فلما فك أسره، ورجع لبلاده؛ قال: «إن التغلب على المسلمين بالسلاح وحده غير ممكن، وإن على أوروبة إذا أرادت التغلب على المسلمين أن تحاربهم من داخل نفوسهم، وأن تقتلع العقيدة الإسلامية من قلوبهم»[1].

٣- التطرف في معالجة التطرف:

كثير ممن حاول معالجة ظاهرة الغلو جعل من الحبّة قبّة، ومن النملة فيلاً؛ فمضغ الهواء، ونسج من الرمال حبالاً، وشرعوا في استدعاء الحكام واستعدائهم للبطش والتنكيل والتعذيب، وتناسوا التطرف في الرذيلة.

فمثلاً تراهم ينكرون حجاب المرأة المسلمة وينبزون المتمسكة به بأقذع الأوصاف؛ ولكن عيونهم في عمى عن المائلات المميلات الكاسيات العاريات؛ بل العاريات التي لم تبق غير ورقة التوت وبخاصة على الشواطئ وفي أطراف الشوارع(!).

والعجب كل العجب؛ أن ترى بعضَ هذه المواقف تصدر من أصحاب العمائم والقفاطين!!.

هذه جملة من التحديات تواجه الداعي إلى الله... وخلاصة علاجها:

---

(١) «في الغزو الفكري» نذير حمدان (ص٨١).

أن التحديات الداخلية حلّها في قوله -تعالى-: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ [النساء: ١١٥].

والتحديات الخارجية في قوله -تعالى-: ﴿وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين﴾ [الأنعام: ٥٥].

فقه الابتلاء

لقد فَقِهَ سلفنا الصالح مسألة الابتلاء؛ فكان دافعاً للثبات، وطاقة عطاء لا تَنْفَدُ، وقوة عزم لا تنقطع، ودونك معالم فقه الابتلاء عند سلفنا الصالح:

١- الابتلاء ضرورة إيمانية.

قال -تعالى-: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ [العنكبوت: ٢].

لا بد أن يمتحن اللَّه أهل الإيمان ويبتليهم حتى يميز الصادق من الكاذب، ولذلك اقتضت حكمة اللَّه -تعالى- البالغة أن نَصَبَ الابتلاء سبباً مفضياً إلى تمييز الخبيث من الطيب، والشقي من السعيد، ومن يصلح مما لا يصلح: ﴿ما كان اللَّه ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ويخلص الصادق من الوهن البشري الذي لا تسلم منه نفس بشرية؛ فتسمو همته فوق الألم؛ فيدرك أنه جسر إلى المعالي.

لا تحْسبنّ المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ويبتلى المرء على قدر دينه، كلما اشتد إيمانه عظم ابتلاؤه، حتى يخلص من شرور نفسه وسيئات أعماله، ويطهر طيب نفسه بكير الامتحان؛ كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا بكير النيران، ولذلك قال ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل: يبتلى الرجل على حسب دينه؛ فإن كان في دينه صلباً

اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه من خطيئة»[١].

ولذلك؛ فالمؤمن ينظر إلى الابتلاء أنه نعمة ورحمة من اللَّه على عباده، يتعهدهم بالابتلاء المرة بعد المرة؛ لينقيهم، ويطهرهم، ويذهب عنهم رجز الشيطان، ويربط على قلوبهم، ويثبت به الأقدام.

وكذلك ينظر إليه أنه دليل رضى ومحبة من اللَّه لعباده؛ فإن اللَّه إذا أحب عبداً ابتلاه، وكلما صلب إيمان المرء وقوي يقينه؛ اشتد بلاؤه، فمن رضي؛ فله الرضى، والعكس بالعكس.

٢- الابتلاء سنة من سنن اللَّه الجارية في الأمم الخالية.

قال -تعالى-: ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن اللّه الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ [العنكبوت: ٣].

٣- الابتلاء مقدمة التمكين.

لما كان الابتلاء ضرورة إيمانية؛ فإن المؤمن يحصل له الألم ابتداء، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، وسئل الشافعي -رحمه اللَّه- أيهما أفضل للرجل أن يُمَكَّن أو يبتلى؟ فقال: لا يُمَكَّن حتى يبتلى.

وقد ابتلى اللَّه المؤمنين؛ فلما صبروا مكّنهم في الأرض واستخلفهم: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة: ٢٤].

---

(١) صحيح- أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد وغيرهم عن سعد بن أبي وقاص -رضي اللَّه عنه- بإسناد صحيح.

فلا يظن عاقل أن أحداً يخلص من الألم ألبتة، وإنما يتفاوت أهل الألم في العقول؛ فأوسطهم من باع ألماً مستمراً عظيماً بألم منقطع يسير، ثم تَعْقُبُهُ لذة في الدنيا والآخرة.

وكما أن الابتلاء سنة جارية، كذلك التمكين والاستخلاف؛ كما قال - تعالى -: ﴿وعد اللّه الّذين آمنوا منكم وعملوا الصّالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلهم وليمكّنّ لهم دينهم الّذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [النور: ٥٥].

٤- عدم استعجال التمكين واستدعاء البلاء.

المؤمن يتأنى في الأمور، وينظر في عواقبها؛ لأن الفقيه من نظر العواقب، ولم تستفزه البداءات، ولذلك؛ فهو لا يستعجل التمكين وإن جاشت عاطفته، وغلبت حماسته؛ لأنه يعلم أنه لا بدّ من الابتلاء ابتداء، وهو لا يتمنى الابتلاء ولا يستدعيه؛ لأن في طياته فتنة مجهولة العواقب لا يدري الإنسان أيثبت أم ينكص على عقبيه؟ عياذاً باللّه.

ويدل على ذلك الأدعية المأثورة عن رسول اللّه ﷺ، التي يسأل اللّه فيها العفو والعافية والمعافاة... من البلاء والابتلاء.

وكذلك الأحاديث التي فيها النهي عن تمني لقاء العدو، أو المرض وغير ذلك من البلاء.

عن حذيفة -رضي اللّه عنه- قال: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه».

قالوا: «وكيف يذل نفسه؟».

قال: «يتعرض من البلاء ما لا يطيق»[١].

... واعلم -أيها الأخ المحب، لا زلت موصولاً بما تحب-: أن فقه هذه المسألة مداره على حديث خباب بن الأرت -رضي اللَّه عنه- قال: شكونا إلى رسول اللَّه ﷺ -وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة-. قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟.

قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض؛ فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار؛ فيوضع على رأسه؛ فيشق باثنتين؛ وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه.

واللَّه ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللَّه أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[٢].

وبيان ذلك:

أ- إخباره عن ابتلاء مؤمني الأمم الماضية يشير إلى أنه ضرورة إيمانية، وأنه سنة جارية في المؤمنين على مر العصور.

ب- إخباره بانتشار الدين وانتصاره يدل على أن الابتلاء مقدمة التمكين، وأن المؤمن لا يمكّن حتى يبتلى.

ت- قوله: «ولكنكم تستعجلون» تحذير من استعجال التمكين قبل النضوج واستدعاء البلاء؛ واللَّه أعلى وأعلم، وأعزّ وأكرم.

---

(١) حسن لغيره -أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، والبغوي، وأبو الشيخ في «الأمثال» والقضاعي في «الشهاب» وإسناده ضعيف؛ لأن علي بن زيد بن جدعان ضعيف، والحسن البصري مدلس، وقد عنعنه.

وله شاهد من حديث ابن عمر -رضي اللَّه عنهما-: أخرجه الطبراني في «الكبير»، و«الأوسط»، والبزار في «مسنده»، وأبو الشيخ في «الأمثال».

قلت: فالحديث حسن لغيره، واللَّه أعلم.

(٢) أخرجه البخاري.

فقه النصيحة

النصيحة كلمة جامعة؛ معناها: حيازة الخير للمنصوح له، فهي من وجيز الكلام، بل ليس في الكلام كلمة مفردة تستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة؛ ولذلك جعلها رسول اللَّه ﷺ الدين كله؛ كما في حديث تميم الداري -رضي اللَّه عنه- أن رسول اللَّه ﷺ قال: «الدين النصيحة»[١] بل جعلها ميثاقاً شرعيّاً في البيعة على الإسلام؛ كما في حديث جرير بن عبداللَّه -رضي اللَّه عنه-: «بايعت رسول اللَّه ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»[٢]

وما ذلك إلا لأنها محصلة لغرض الدين في تحقيق الأخوّة بين المؤمنين، حيث تبرز صورة الأمة الخيرة الواعية التي تشعر بوجودها كما تشعر بواجبها، فتكون قوّامة؛ على الأمم بالحق والعدل والخير، متواصية على ذلك في مودة وتعاون وتآخ يتّضح بها لفظ النصيحة المتضمن كلمة التواصي بالحق والتواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿والعصر . إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [العصر: ١-٣]، وقوله -عز وجل-: ﴿ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾ [البلد: ١٧].

إن التّواصي تعاون على البر والتقوى، وتذكير، وتشجيع، وإصلاح، وإشعار بترابط القلوب في الهدف والغاية لحمل العبء والأمانة؛ ففيه تتفاعل الجهود

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) متفق عليه.

الفردية وتتضاعف؛ فيقوى أمرها، وتستغلظ، فتستوي على سوقها؛ لتؤتي أكلها بإذن ربها، أمة مختارة ذات كيان واحد، ورابطة موحدة متميزة في الثبات عليه، غير خائفة لومة لائم، ولا شماتة شامت... وهم أهل الحديث؛ حيث اتفقت كلمات أهل العلم من هذه الأمة على ذلك منهم: عبدالله بن المبارك، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، وأحمد بن سنان، والبخاري، وابن قتيبة، والترمذي، وابن حبان، والآجري، والحاكم، والخطيب البغدادي، والبغوي، وابن الجوزي، والنووي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والشاطبي، وابن حجر العسقلاني -رحمهم الله جميعاً-.

وقد نقل اتفاقهم النووي -رحمه الله-؛ فقال[1]: «ومع هذا فلهم في أنفسهم فضائل ظاهرة، وفي حفظ العلم آيات باهرة؛ ففي «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقّ لا يضرهم من خذلهم»، وجملة العلماء أو جمهورهم على أنهم حملة العلم».

وهم مَن درج على نهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان في التمسك بالكتاب والسنة، وتقديمهما على كلّ قول سواء أكان في العقيدة، أو العبادة، أو المعاملة، أو الأخلاق، أو السياسة، أو أي شأن من شؤون الحياة صغيرها وكبيرها.

وهم بهذا المعنى تنداح دائرتهم حتى تشمل ألوفاً من أهل العلم العاملين الذين امتشقوا حسام العلم، وتسنموا غارب الحق؛ لينفوا عن الدين وأهله: انتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وتحريف الغالين؛ ليعود صافياً نقياً يتلألأ بثوب الرسالة، كما أُنْزِلَ على رسول الله ﷺ، وتلقّاه السلف الصالح غضاً طرياً لم تَشُبْهُ شائبة.

---

(١) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ١٧).

لقد مارس جيل القدوة الأول وقرن الأسوة الأمثل في العصر الأنور النصح معنى وحقيقة على أعلى المستويات وأدناها: للّه، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم؛ لأن دعوة هذه الأمة تحيط من ورائهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، فهم أمة من دون الناس، ودونك فقه النصيحة في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة:

١- لا بدَّ أن تكون عملية النصح مشفوعة بالإشفاق؛ لأن ذلك دليل الإخلاص لا الشماتة.

٢- من كان آمراً بالمعروف؛ فليكن أمره بمعروف، ومن كان ناهياً عن المنكر؛ فلا يكونن نهيه بمنكر.

٣- لا بدَّ أن ينصرف النصح والتوجيه -عموماً- إلى الآراء والأفكار والأعمال دون الأشخاص بأعيانهم.

إذاً؛ لا بد من فتح باب الحوار والنقد والنصح على مصراعيه؛ لتصب كل الخبرات في مجرى الحياة الإسلامية، وتسد كل الثغرات، ويشعر جميع الدعاة العاملين بالرقابة التي تحققها ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن حراسة القضية الإسلامية، وبناء قاعدة المجتمع الإسلامي الصلبة، وتربيتها على الإسلام الصحيح المصفى، إنما كانت بالتقويم الدائم، والتبصر المستمر بالأخطاء؛ لأن معرفتها أول درجات الصواب، ليتم استدراكها، فتستقيم المسيرة الإسلامية لتبلغ غايتها بإذن ربها.

ولذلك لا بدَّ من وجود الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، القائمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الوارثة عن الرسول ﷺ وأصحابه -رضي اللّه عنهم- الدين بقضه وقضيضه، ضرورة بشرية، وفريضة شرعية.

فقه الأخلاق

إن الأخلاق الصالحة في الإسلام تتجلى في كل أمر من أوامره ونواهيه: دقيقها وجليلها، فكانت -بحق- بعثاً جديداً في جوهرها وكل مسالكها ودروبها ونظمها.

وحتى يسفر هذا الحق الصراح؛ فلا بدَّ من بيان قواعد فقه الأخلاق؛ لكي تمتاز عن العادة، وبخاصة في هذا الزمان الذي أصبحت فيه الأخلاق طلاء يتقنع به كثير من الناس.

عن حذيفة بن اليمان -رضي اللَّه عنهما- قال رسول اللَّه ﷺ حديثين؛ رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر.

حدثنا: «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة».

وحدثنا عن رفعها؛ فقال: «ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة، فتقبض، فيبقى فيها أثرها مثل أثر المَجْلِ؛ كجمر دحرجته على رجلك؛ فَنَفَطَ، فتراه مُنْتَبِراً، وليس فيه شيء، ويصبح الناس يَتبايعون؛ فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: أن في بني فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل: ما أعقله! وما أظرفه! وما أجلده! وما في قلبه مثقال حبة خردل من الإيمان».

ولقد أتى عليَّ زمان ولا أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلماً رده عَلَيَّ الإسلام، وإن كان نصرانياً رده عَلَيَّ ساعيه، وأما اليوم؛ فما كنت أبايع إلا فلاناً وفلاناً[١].

١- قوله ﷺ: «إن الأمانة نزلت في جَذْرِ قلوب الرجال»؛ يفيد: أن الأخلاق في الإسلام لم تكن يوماً طلاء ذهبياً؛ ليتهافت الخلق على سراب بقيعة؛ ولذلك؛ فإن الأخلاق الإسلامية أكبر من مفهوم الإنسانية الذي رفعته مؤسسات وجمعيات ماسونية معاصرة، وخدعت به شعوباً وقبائل؛ لأن الأخلاق الإسلامية تتسع حتى تشمل الحيوان والنبات، فهي تقرر: أن العلاقة بين المسلم وغيره من خلق اللَّه؛ المودة والرحمة حتى في القتل والذبح؛ لقوله ﷺ: «إن اللَّه كتب الإحسان على كل شيء»[٢].

والأخلاق الإسلامية أعمق من مفهوم الإنسانية؛ بأنها تتجاوز المظاهر والمرئيات إلى اللّباب وسرائر النفوس.

والأخلاق الإسلامية أخلد من مفهوم الإنسانية التي تنتهي بانقضاء الجنس البشري، بيد أن الأخلاق موصولة بالآخرة؛ فالمسلم يرث الفردوس بقدر سهامه من الأخلاق: «إن من أحبكم إليّ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؛ أحاسنكم أخلاقاً»[٣].

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) حسن - أخرجه الترمذي وغيره من حديث جابر بن عبداللَّه -رضي اللَّه عنهما-.

٢- قوله ﷺ: «ثم علموا القرآن ثم علموا السّنّة»؛ يدل على: أن الأخلاق الإسلامية نبع من الكتاب والسنة؛ فهي والفقه مقرونان، وقد صرح بذلك رسول اللَّه ﷺ؛ فقال: «خياركم إسلاماً أحاسنكم أخلاقاً؛ إذا فقهوا»(١).

٣- قوله ﷺ: «ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة...»؛ يفيد: أن الأخلاقَ منها ما هو غريزي، ومنها ما هو مكتسب، فهذا الرجل اكتسب الأمانة؛ فأصبح أميناً؛ لكنه لم يتعاهد نفسه؛ فعاد إلى طبعه؛ كما قال الأعشى:

وإذا ذو الفضول ضَنَّ على المولى عادت لخيمها الأخلاق

٤- قوله ﷺ: «فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً...»؛ يفيد: أن الأخلاق والإيمان ملزوزان بقَرَن، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر؛ كما في قوله ﷺ: «الحياء والإيمان قرنا جميعاً؛ فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»(٢).

ولا يقال: إن الحديث عن الحياء فقط ولا تدخل فيه الأخلاق؛ لأن الحياء معيار الأخلاق؛ ولذلك قال رسول اللَّه ﷺ: «إن لكل دين خلقاً، وإن خلق الإسلام الحياء»(٣).

٥- قول حذيفة -رضي الله عنه-: «ولقد أتى عَلَيَّ زمانٌ...» يفيد وجوب وجود رادع يمنع الناس عن القبائح، ويحملهم على الإيمان والعمل الصالح، وهذا

---

(١) صحيح- أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» وأحمد وغيرهما من حديث أبي هريرة -رضي اللَّه عنه-.

(٢) صحيح - أخرجه الحاكم وأبو نعيم وغيرهما من حديث عبداللَّه بن عمر -رضي اللَّه عنهما-.

(٣) حسن - أخرجه البيهقي وغيره من حديث أنس وعبداللَّه بن عباس -رضي اللَّه عنهم-.

يوحي بضرورة تولي أهل العلم والصلاح تقويم الناس وإصلاحهم، وإلا انفرط عقدهم كما قيل:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة لهم إذا جهالهم سادوا

وعلى أولي الأمر أن يرتادوا لرعيتهم المرعى الطيب، ويأخذوا على يد السفهاء؛ فإن اللَّه يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

وبذلك يتبين: أن الأخلاق كانت في تصور خير القرون عقيدة؛ فتبوأت في حياتهم مكاناً علياً؛ فكانوا خير أمة أخرجت للناس تفعم حياتهم فضيلة، وخيراً، وصلاحاً، وإصلاحاً.

واعلم -أيها الأخ الأوفى والصديق الخالصة الأصفى- أن الأخلاق الكريمة أساس في استجابة الناس للدين وصلة الداعي إلى اللَّه بالخلق؛ كما قال -تعالى-: ﴿فبما رحمة من اللّه لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على اللّه إنّ اللّه يحبّ المتوكّلين﴾ [آل عمران: ١٥٩].

مطلع الفجر في فقه الزجر بالهجر

إن هجر أهل البدع والمعاصي الظاهرة صورة مشرقة من حياة السلف الصالح الأول: تذكّر المسلم بالأسباب الوقائية من جُذام أهل البدع وسيل أهل الأهواء العرِم، وتحصن القاعدة الإسلامية من شوائب الآراء المضلّلة.

إن الزجر بالهجر باب من الفقه الأكبر كبير، ولهذا تراه شاخصاً في كتب اعتقاد السلف الصالح أهل الحديث؛ لأنه ينضوي تحت سلطان الأصل العقدي العظيم «الولاء والبراء» الذي مداره على الحبّ والبغض في اللّه وللّه، والذي هو رَحى العبودية وقُطب التوحيد.

ولذا؛ ينبغي زجر أهل البدع بالهجر، وهجرهم بالحَجْرِ استصلاحاً لحالهم، ليضعفوا عن نشر بدعهم؛ فيأرزوا إلى جحورهم؛ فتكون كلمة الوحي كتاباً وسنة هي العليا في حياة المسلمين.

وهكذا تبرز معالم التميز العقدي الذي يقي من المدّ البدعي، ويقمع استشراف أهل الأهواء المضلة للاستشراء بين الأمة، ويعصم عُدَّة المستقبل من شباب اليقظة الإسلامية من الفتن التي صرعتهم في أحضان الأدعياء، وجعلتهم يتهافتون كالفراش على موائد دعاة الضلالة الذين يدعون إلى النار حتى كثرت الأخلاط؛ فَسَرَتْ في أوصال المجتمع المسلم أمراض التميع العقدي والسلوكي تحت شعارات براقة وشارات مضلة؛ فانفرط العِقد، وسقطت واسطته في الشرك بلا ثمن؛ فثار في العلوم الشرعية الدخن، وظهرت في النفوس الإحن على السنن، فكان ولا بد من التحصن بالنأي عن قوم لا يستطيع السني أن يوفي الدين حقه بين ظهرانيهم، ولذلك شرع الزجر بالهجر، ولكن للّهجر المشروع أحكاماً وضوابط، دونك إياها:

١- الأصل في الهجر المنع بين المسلمين.

ولذلك حرّم الإسلام البغضاء والحسد والتدابر، وحض على التوادّ والتعاطف والتراحم، وما شرع من الهجران؛ فهو للحاجة؛ لأنه قد يكون في بعض الأحايين لا بد منه للمعالجة لبعض الأدواء في النفوس، والحاجة تقدر بقدرها، وقدرها ثلاثة أيام، وعلى ذلك جملة من الأحاديث النبوية الصحيحة:

أ- عن أنس بن مالك -رضي اللَّه عنه-: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد اللَّه إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال»(١).

ب- عن أبي أيوب الأنصاري -رضي اللَّه عنه-: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال؛ يلتقيان؛ فيُعرِض هذا، ويُعرِض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»(٢).

ت- عن أبي هريرة -رضي اللَّه عنه-: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا هجر بعد ثلاث»(٣).

وفي الرواية: «فمن هجر أخاه فوق ثلاث؛ فمات دخل النار»(٤).

ث- عن عبداللَّه بن عمرو -رضي اللَّه عنهما-: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه مسلم.

(٤) صحيح - أخرجه أبو داود وأحمد بإسناد صحيح.

(٥) أخرجه مسلم.

ج- عن عائشة -رضي اللَّه عنها-: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا يكون لمسلم أن يهجر مسلماً فوق ثلاثة؛ فإذا لقيه سلّم عليه ثلاث مرات كل ذلك لا يرد عليه؛ فقد باء بإثمه»[١].

ح- عن عبداللَّه بن مسعود -رضي اللَّه عنه- قال: ألا إن محمداً ﷺ قال: «إن قتال المسلم كفر، وسبابه فسوق، ألا لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق الثلاث»[٢].

لقد دلت هذه الأحاديث بمنطوقها على عدم حِلِّ هجرة المسلم لأخيه المسلم فوق ثلاث ليال، وبمفهومها على إباحتها في الثلاث:

قال النووي -رحمه الله-: «قال العلماء: في هذا الحديث تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال، وإباحتها في الثلاث، الأول بنص الحديث، والثاني بمفهومه.

قالوا: وإنما عفى عنها في الثلاث؛ لأن الآدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك، فعفى عن الهجرة في الثلاثة؛ ليذهب ذلك العارض»[٣].

ويستثنى من ذلك هجر من له سلطة مادية أو معنوية إن دعت حاجة شرعية لذلك، وذلك كتأديب من يظهر المنكرات حتى يتوب منها، ودعاة البدع والأهواء يجوز هجرهم على التأبيد.

وهذه استثناءات تشهد لها السنة الصحيحة، وتطبيق السلف لذلك.

والنوع الأول يكون ممن له سلطة مادية؛ كالزوج، فقد حصل هذا من النبي ﷺ حيث هجر بعض نسائه شهراً.

---

(١) حسن - أخرجه أبو داود وغيره بإسناد حسن.

(٢) صحيح - أخرجه الطيالسي بإسناد صحيح.

(٣) «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ١١٧).

عن عكرمة بن عبدالرحمن بن الحارث: أن أم سلمة أخبرته: أن النبي ﷺ حلف أن لا يدخل على بعض أهله شهراً، فلما مضى تسعة وعشرون يوماً غدا عليهن -أو راح- فقيل له: يا نبي، اللَّه حلفت أن لا تدخل عليهن شهراً. قال «الشهر يكون تسعة وعشرين يوماً»[١].

ويكون من الإمام والمطاع؛ كما في قصة كعب بن مالك -رضي اللَّه عنه-.

قال ابن عبدالبر -رحمه اللَّه-: «وهذا الحديث وإن كان ظاهره العموم، فهو عندي مخصوص بحديث كعب بن مالك، حيث أمر رسول اللَّه ﷺ أصحابه أن يهجروه، ولا يكلموه هو وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة؛ لتخلفهم عن غزوة تبوك، حتى أنزل اللَّه توبتهم وعذرهم، فأمر رسول اللَّه ﷺ أصحابه أن يراجعوهم الكلام.

وفي حديث كعب -هذا- الدليل على أنه جائز أن يهجر المرء أخاه إذا بدت له منه بدعة أو فاحشة يرجو أن يكون هجرانه تأديباً له، وزجراً عنها»[٢].

ويكون من الأب؛ كما فعل عبداللَّه بن عمر -رضي اللَّه عنهما- مع بعض أبنائه.

عن مجاهد عن عبداللَّه بن عمر -رضي الله عنهما-: أن النبي ﷺ قال: «لا يمنعنَّ رجل أهله أن يأتوا المساجد»؛ فقال ابنٌ لعبداللَّه بن عمر: فإنا نمنعهن. فقال عبداللَّه: أحدثك عن رسول اللَّه ﷺ وتقول هذا! قال: فما كلمه عبداللَّه حتى مات[٣].

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) «التمهيد» (٦/ ١١٧-١١٨).

(٣) أخرجه أحمد بإسناد صحيح.

وأما من له سلطة معنوية؛ فكما هجرت عائشة -رضي اللَّه عنها- ابن أختها عبداللَّه بن الزبير -رضي الله عنهما-[١].

وأما هجر دعاة البدعة؛ فقد دلت السنة الفعلية على مشروعيته، بل وجوبه، وورد عن كثير من السلف ومن بعدهم هجران أهل البدع ومنابذي السنة؛ فقد أمر عمر بن الخطاب -رضي اللَّه عنه- بهجر صَبِيغ بن عِسْل الذي كان يسأل عن مشكلات القرآن[٢].

عن عبداللَّه بن مغفل -رضي اللَّه عنه-: أنه رأى رجلاً يخذف؛ فقال له: لا تخذف؛ فإن رسول اللَّه ﷺ نهى عن الخذف -أو كان يكره الخذف- وقال: «إنه لا يصاد به صيد، ولا ينكأ به عدو، ولكنها قد تكسر السن، وتفقأ العين»، ثم رآه بعد ذلك يخذف؛ فقال له: أحدثك عن رسول اللَّه ﷺ أنه نهى عن الخذف -أو كره الخذف- وأنت تخذف!! لا أكلمك كذا وكذا[٣].

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) لهذه القصة طرق كثيرة ذكرها الدارمي (١/ ٥٥-٥٦)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص٥٦،٥٧)، والآجري في «الشريعة» (ص٧٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١١٣٦، ١١٣٩، ١١٤٠).

قلت: وهي لا تخلو من مقال؛ لكن يشد بعضها بعضاً.

وقد أوعب الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ١٩٨-١٩٩) فذكرها بعدة ألفاظ، وصحح بعض أسانيدها.

قال الحافظ ابن كثير -رحمه اللَّه- في «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٢٤٨): «فإن قصة صَبِيغ بن عِسْل مشهورة مع عمر -رضي اللَّه عنه-، وإنما ضربه؛ لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتاً وعناداً، واللَّه أعلم».

(٣) أخرجه البخاري.

قال النووي -رحمه اللَّه-: «فيه هجران أهل البدع والفسوق ومنابذي السنة مع العلم، وأنه يجوز هجرانه دائماً، والنهي عن الهجران فوق ثلاثة أيام إنما هو فيمن هجر لحظ نفسه، ومعايش الدنيا، وأما أهل البدع ونحوهم؛ فهجرانهم دائماً، وهذا الحديث مما يؤيده مع نظائر له؛ كحديث كعب بن مالك وغيره»[١].

وهذا موقف السلف بعامة؛ كما قال شيخ الإسلام: «الهجر على وجه التأديب، وهو هجر من يظهر المنكرات، يهجر حتى يتوب منها؛ كما هجر النبي ﷺ والمسلمون الثلاثة الذين خلّفوا، حتى أنزل اللَّه توبتهم، حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر، ولم يهجر من أظهر الخير وإن كان منافقاً، فهنا الهجر هو بمنزلة التعزير.

والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات وفعل المحرمات؛ كتارك الصلاة والزكاة، والتظاهر بالمظالم والفواحش، والداعي إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة التي ظهر أنها بدع، وهذه حقيقة قول من قال من السلف والأئمة: أن الدعاة إلى البدع لا تقبل شهادتهم، ولا يصلى خلفهم، ولا يؤخذ عنهم العلم، ولا يناكحون، فهذه عقوبة حتى ينتهوا، ولهذا يفرقون بين الداعية وغير الداعية؛ لأن الداعية أظهر المنكرات؛ فاستحق العقوبة، بخلاف الكاتم، فإنه ليس شراً من المنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى اللَّه مع علمه بحال الكثير منهم»[٢].

قال البغوي -رحمه اللَّه-: «قد أخبر النبي ﷺ عن افتراق هذه الأمة، وظهور الأهواء والبدع فيهم، وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته وسنة أصحابه -رضي اللَّه

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٣/ ١٠٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٠٤-٢٠٥).

عنهم-، فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلاً، يتعاطى شيئاً من الأهواء والبدع معتقداً، أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره، ويتبرأ منه، ويتركه حيّاً وميتاً؛ فلا يسلّم عليه إذا لقيه، ولا يجيبه إذا ابتدأ إلى أن يترك بدعته، ويراجع الحق.

والنهي عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعشرة دون ما كان ذلك في حق الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلى أن يتوبوا.

قال كعب بن مالك في قصة تخلفه وتخلف صاحبيه: مرارة بن الربيع وهلال بن أمية عن رسول اللَّه ﷺ في غزوة تبوك (وساقه بإسناده).

وفيه دليل على هجران أهل البدع على التأبيد، وكان رسول اللَّه ﷺ خاف على كعب وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن الخروج معه؛ فأمر بهجرانهم إلى أن أنزل اللَّه توبتهم، وعرف رسول اللَّه براءتهم، وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجتمعين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم»[(١)].

وإجماع السلف من الصحابة ومن تبعهم من علماء الملة وفقهاء الأمة على هجران أهل البدع نقله -أيضاً-: الخلال، وأبو يعلى، وابن عبدالبر، والغزالي، وغيرهم.

وبهذا يتضح: أن النهي عن الهجر فوق الثلاث محمول على من لم يكن هجرانه شرعياً[(٢)].

٢- أن يكون هجراً شرعياً.

---

(١) «شرح السنة» (١/ ٢٢٤-٢٢٧).

(٢) «فتح الباري» (٨/ ١٢٤).

ينبغي أن يكون الزجر بالهجر لأهل البدع ديانةً؛ لأنه من باب العقوبات الشرعية بل هو من جنس الجهاد في سبيل اللَّه، وهو دالٌّ على منزلة الإسلام، والسنة في قلوب أتباعه.

فالهجر من الأعمال التي أمر اللَّه بها ورسوله، ولا يكون مشروعاً إلا لحقِّ اللَّه لا لهوى النفس؛ وحظوظها؛ فالطاعة لا بدَّ أن تكون خالصة للَّه وموافقة لأمره، فتكون خالصة صواباً؛ ولذلك فالهجر لحظِّ النفس ينقض الإخلاص، والهجر على خلاف الأمر ينقض المتابعة.

وهجر أهل البدع المشروع على نوعين:

الأول: هجر التعزير: وهو من العقوبات الشرعية التي يوقعها المسلم على أهل الأهواء على وجه التأديب حتى يتوب المبتدع، ويفيء إلى أمر اللَّه.

قال -تعالى-: ﴿وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات اللّه يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتّى يخوضوا في حديث غيره إنّكم إذاً مثلهم إنّ اللّه جامع المنافقين والكافرين في جهنّم جميعاً﴾ [النساء: ١٤٠].

وقال: ﴿وإذا رأيت الّذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتّى يخوضوا في حديث غيره وإمّا ينسينّك الشّيطان فلا تقعد بعد الذّكرى مع القوم الظّالمين﴾ [الأنعام: ٦٨].

ولما كان المقصود بالهجر زجر المبتدع وتأديبه ورجوعه إلى جماعة المسلمين؛ فإن الشرع يزن الأمور بميزان عدل لا إفراط ولا تفريط على قاعدة رعاية المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد وتقليلها.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: «وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم، وقلتهم وكثرتهم؛ فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله.

فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشَّرِّ وخفيته كان مشروعاً، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشَّرُّ، والهاجر ضعيف، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحتهم لم يشرع الهجر.

بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قوماً ويهجر آخرين؛ كما أن الثلاثة الذين خُلِّفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفة قلوبهم، لما كان أولئك كانوا سادة مطاعين في عشائرهم، فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم، وهؤلاء كانوا مؤمنين، والمؤمنون سواهم كثير؛ فكان في هجرهم عزّ الدين، وتطهيرهم من ذنوبهم، وهذا كما أن المشروع في العدو القتال تارة، والمهادنة تارة، وأخذ الجزية تارة، كل ذلك بسبب الأحوال والمصالح.

وجواب الأئمة؛ كأحمد وغيره في هذا الباب مبني على هذا الأصل.

ولهذا كان يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع، كما كثر القدر في البصرة، والتنجيم بخراسان، والتشيع بالكوفة، وبين ما ليس كذلك، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم، وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطُّرق إليه»[1].

وقال -رحمه اللَّه-: «وعقوبة الظالم وتعزيره مشروط بالقدرة؛ فلهذا اختلف حكم الشرع في نوعي الهجرتين: بين القادر والعاجز، وبين قلة نوع الظالم والمبتدع وكثرته وقوته وضعفه، كما يختلف الحكم بذلك في سائر أنواع الظلم من الكفر والفسوق والعصيان، إما في حقّ اللَّه فقط، وإما في حقّ عباده، وإما فيهما.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٠٦-٢٠٧).

وما أمر به من هجر الترك والانتهاء وهجر العقوبة والتعزير؛ إنما هو إذا لم يكن فيه مصلحة دينية راجحة على فعله، وإلا فإذا كان في السيئة حسنة راجحة لم تكن سيئة، وإن كانت مكافئة لم تكن حسنة ولا سيئة، فالهجران قد يكون مقصوده ترك سيئة البدعة التي هي ظلم وذنب وإثم وفساد، وقد يكون مقصوده فعل حسنة الجهاد والنهي عن المنكر وعقوبة الظالمين لينزجروا ويرتدعوا، وليقوى الإيمان والعمل الصالح عند أهله؛ فإن عقوبة الظالم تمنع النفوس عن ظلمه، وتحضها على فعل ضد ظلمه: من الإيمان والسنة ونحو ذلك.

فإذا لم يكن في هجرانه انزجار أحد ولا انتهاء أحد؛ بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها لم تكن هجرة مأموراً بها؛ كما ذكره أحمد عن أهل خراسان - إذ ذاك- إنهم لم يكونوا يقوون بالجهمية، فإذا عجزوا عن إظهار العداوة لهم سقط الأمر بفعل هذه الحسنة، وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف، ولعله أن يكون فيه تأليف الفاجر القوي، وكذلك لما كثر القدر في أهل البصرة، فلو ترك رواية الحديث عنهم لاندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم، فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب: كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيراً من العكس.

ولهذا كان الكلام في هذه المسائل فيه تفصيل.

وكثير من أجوبة الإمام أحمد وغيره من الأئمة خرج على سؤال سائل قد علم المسئول حاله؛ أو خرج خطاباً لمعين قد عُلم حاله، فيكون بمنزلة قضايا الأعيان الصادرة عن الرسول ﷺ، إنما يثبت حكمها في نظيرها.

فإن أقواماً جعلوا ذلك عاماً، فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به، فلا يجب ولا يستحب، وربما تركوا واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات.

وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية، فلم يهجروا ما أُمروا بهجره من السيئات البدعية؛ بل تركوها ترك المُعْرِض؛ لا ترك المنتهي الكاره، أو وقعوا فيها أو قد يتركونها ترك المنتهي الكاره، ولا ينهون عنها غيرهم، ولا يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحق العقوبة عليها، فيكونون قد ضيعوا من النهي عن المنكر ما أمروا به إيجاباً أو استحباباً، فهم بين فعل المنكر أو ترك المنهيّ عنه، وذلك فعل ما نهوا عنه وترك ما أمروا به، فهذا هذا، ودين اللَّه وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، واللَّه -سبحانه- أعلم»[١].

قال الدكتور بكر بن عبداللَّه أبو زيد: «فإذا كانت الغلبة والظهور لأهل السنة كانت مشروعية هجر المبتدع قائمة على أصلها، وإن كانت القوة والكثرة للمبتدعة -ولا حول ولا قوة إلا باللَّه- فلا المبتدع ولا غيره يرتدع بالهِجر ولا يحصل المقصود الشرعي لم يشرع الهجر، وكان مسلك التأليف خشية زيادة الشَّرِّ..

ومن أهم المهمات هنا: إذا كانت الواجبات لدى أهل السنة مثل: التعليم، والجهاد، والطبِّ، والهندسة، ونحوها تتعذر إقامتها إلا بواسطتهم؛ فإنه يعمل على تحصيل مصلحة الجهاد ومصلحة التعليم وهكذا مع الحذر من بدعته، واتقاء الفتنة به وبها ما أمكن، وبقدر الضرورة؛ فإذا زالت عاد أهل السنة إلى الأصل في الهجر، وأبعد المبتدع»[٢].

الثاني: الهجر الوقائي المانع.

قال ابن عبدالبر -رحمه اللَّه-: «ولا هجرة إلا لمن ترجو تأديبه أو تخاف من شرِّه في بدعة أو غيرها»[٣].

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢١١-٢١٣).

(٢) «هجر المبتدع» (ص٤٥-٤٦).

(٣) «التمهيد» (٦/ ١١٩).

وقال: «وأجمع العلماء على أنه لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يكون يخاف من مكالمته وصلته ما يفسد عليه دينه أو يولّد به على نفسه مضرة في دينه أو دنياه، فإن كان كذلك فقد رخص له في مجانبته وبعده»[١].

ومدار هذا النوع على قوله ﷺ: «من سمع بالدجال؛ فلينأ عنه، فواللَّه، إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات»[٢].

وعلته: أن القلوب ضعيفة والشبه خطافة، ولذلك وظف السلف هذا النوع في حياتهم العلمية ضد البدعة ودعاتها؛ لكيلا يظفر مبتدع بنيل مناه في إلقاء شبهاته وإظهار دعوته، وحفاظاً على عُدَّة المستقبل وأمل الغد من ناشئة المسلمين حتى لا يصرعوا في محاضن الأدعياء: دعاة البدع وأئمة الضلالة الذين يتكلمون بكلام ظاهره كنقد الذهب، وباطنه أحرق للقلوب من اللَّهب.

وأقوال السلف في بيان ذلك طافحة بها كتب السنة[٣].

ومفردات هذا النوع:

١- ترك مجالسة أهل الأهواء، ولذلك جعله الإمام أحمد أصلاً من أصول السنة؛ فقال: «وترك الخصومات والجلوس مع أهل الأهواء»[٤].

---

(١) المصدر نفسه (٦/ ١١٩).

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود وأحمد والحاكم من حديث عمران بن حصين -رضي اللَّه عنهما- بإسناد صحيح.

(٣) وبخاصة «الإبانة -الكبرى والصغرى-» لابن بطة، و«الشريعة» للآجري، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي وغيرها.

قلت: وقد جمعته وبوّبته -بحمد الله- في كتاب شامل متكامل، يسَّر الله نشره بخير؛ إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

(٤) «أصول السنة» رواية عبدوس بن مالك العطار (ص٣٠).

وقال ابن بطة -رحمه اللَّه- معلقاً على حديث عمران بن حصين -رضي اللَّه عنه- المتقدم: «هذا قول الرسول ﷺ، فاللَّه اللَّه يا معشر المسلمين! لا يحملنَّ أحداً منكم حسنُ ظنهِ بنفسه، وما عهد من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء؛ فيقول: أداخله؛ لأناظره، أو لأستخرج منه مذهبه، فإنهم أشد فتنة من الدجال، وكلامهم ألصق من الجرب، وأحرق للقلوب من اللَّهب.

ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم، ويسبونهم في مجالسهم على سبيل الإنكار والردِّ عليهم فما زالت بهم المباسطة، وخفيُّ المكر، ودقيق الكفر حتى صَبَوْا إليهم»[1].

٢- عدم مناظرتهم والتعمّق معهم؛ لأن من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل، وأما الأثري؛ فهو على بيّنة من ربه لا يترك سنّة محمد ﷺ وآثار السلف؛ ليبهرج الرجال وزخرف قولهم الذي يصطادون بهم القلوب؛ ليفسدوها.

جاء رجل إلى الحسن البصري يجادله؛ فقال له: «أما أنا فقد أبصرت ديني؛ فإن كنت أضللت دينك؛ فالتمسه»[2].

ورحم اللَّه اللالكائي القائل: «وكلا إنه ليس كما ظنه أو خطر بباله، إذا أهل السنة لا يرغبون عن طرائقهم في الاتباع، ولو نشروا بالمناشير، ولا يستوحشون لمخالفة أحد بزخرف من قول من غرور أو بضرب أمثال زور.

---

(١) «الإبانة» (٣/ ٤٧٠).

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة».

فما جنى على المسلمين جنايةً أعظم من مناظرة المبتدعة، ولم يكن لهم قهر ولا ذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة، يموتون من الغيظ كمداً ودرداً، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلاً»[١].

٣- التحذير منهم والتنكيل بهم؛ لأن البدع والأهواء أظلم من المعاصي، وهي بريد الكفر، فوجب على السلفي أن يفارق أهلها وينكر عليهم ويهجرهم مبغضاً لهم لقوله -تعالى-: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ولذلك قال الشاطبي -رحمه اللَّه-: «وأيضاً؛ فإن فرقة النجاة -وهم أهل السنة- مأمورون بعداوة أهل البدع، والتشريد بهم والتنكيل بمن انحاش إلى جهتهم بالقتل فما دونه، وقد حذر العلماء من مصاحبتهم ومجالستهم»[٢].

وقال الذهبي: «أكثر السلف على هذا التحذير»[٣].

رحم اللَّه أئمتنا السابقين وشيوخنا المعاصرين! فلقد كانوا لنا ناصحين؛ فإن الرائد لا يَكْذِبُ أهله، وما كان الأمر ليصير إلى ما نرى لو درج الأدعياء على أثرهم لكنهم لم يركنوا إلى أقوال أئمة السلف الذين خبروا أهل الأهواء، وسبروا مذاهبهم الصماء، فحذروا من الفتنة الصلعاء، لكنهم زبَّبوا قبل أن يحصرموا، وراموا البروزَ قبل أن ينضجوا، وبالغوا قبل أن يبلغوا، وناموا عن العلم فما استيقظوا، وركبوا مطايا الخير للشر، فاصطنعوا النزال في حلائب العلم يريدون أن يعظموا بذلك، فاللَّهم، نشكو إليك هذا الغثاء الذي أكثر في العلوم الشرعية

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢/ ٢٠).

(٢) «الاعتصام» (١/ ١٢٠-بتحقيقي).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٦١).

الدخن، وفتح على الأمة الإسلامية دهاليز الوهن، وعلى أيديهم تسلل أهل البدع؛ يبتغون الفتن، حتى صارت الزندقةُ ممّا يتفكّه بها حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، وصار التعريض تصريحاً، والتمريض تصحيحاً، فحسبي اللّه ونعم الوكيل.

قلت: وهذا النوع ينبغي إعماله في كلّ وقت وعدم إهماله؛ لئلا يصبوا إليهم من لم تتمكن السنة من سويداء قلبه؛ لصغره أو لجهله، والوقاية مقدمة على العلاج؛ كما لا يخفى.

٣- الهجر لا يكون لمجرد ارتكاب فعل مختلف في حكمه بين الأئمة الأعلام، أو لتعثر في زلة لا يخلو منها إمام، أو هفوة لا يسلم منها كل واحد من الأنام.

لذلك؛ ينبغي التفريق بين مَن أخطأ بعد تحري الحقّ وبذل الجهد، ومَن تتجارى بهم الأهواء، كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه فلا يدع عِرْقاً ولا مِفْصَلاً إلا دخله، فالأول مجتهد أخطأ، والآخر بدعي متسرع ما أبطأ.

والاجتهاد الخطأ ليس كالابتداع أصلاً ووصفاً ونتيجة:

أما الأصل؛ فإن الشرع قد دل على أن الهوى هو المتبع في البدع؛ فهو مقصودهم، ودليل الشرع تَبَعٌ في حقّهم، فإذا خالف دليل الشرع أهواءهم تأولوه، فإن استعصى عليهم ردّوه، ويتبعون شبهة وافقت أغراضهم، ويبتغون فتنة نالت إعجابهم.

قال مولانا الحق: ﴿هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ [آل عمران: ٧].

فأثبت اللّه -جل جلاله- الزيغ أولاً، ثم اتباع المتشابه منه، وهو خلاف المحكم الواضح المعنى الذي هو أمّ الكتاب ومعظمه، على هذا القليل، فتركوا المعظم المحكم إلى القليل المتشابه، الذي لا يعطي مفهوماً واضحاً؛ إلا بردّه إلى المحكم.

فانظر -رحمك اللّه- كيف اتبعوا أهواءهم أولاً في مطالبة الشرع بشهادة اللّه.

وقال -جل جلاله-: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ألم تر كيف نسب التفريق إليهم، ولو كان التفريق في مقتضى الدليل لم ينسبه إليهم، ولا أتى به في معرض الذّمّ، وليس ذلك إلا اتباع الهوى.

وإنما يأتي التفريق بعد وضوح الصراط المستقيم اتباعاً لبنيات الطريق.

قال -جَلَّ ثناؤه-: ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وأما المجتهد الراسخ؛ فلا يبتدع بداءة، وإن وقع منه؛ فإنما يقع فلتة، وبالعرض لا بالذات؛ لأنه لم يقصد اتباع المتشابه؛ أي: لم يتبع هواه، ولا جعله عمدة، وعلامة ذلك: أنه إن ظهر له الحق أذعن له، وأناخ بفهمه في رحابه مُقِراً به.

ولذلك؛ فالابتداع يقع ممن لم يتمكن من علمه، حيث لم يصحّ بمسبار العلم أنه من المجتهدين، فهو الحري باستنباط ما خالف الشرع؛ فإذا اجتمع له مع ذلك الجهل بمقاصد الشرع الهوى الباعث عليه في الأصل، فكيف إذا انضاف إليه شُبَهاً ظنها شرعية على صحة ما ذهب إليه؟!.

فيتمكن الهوى من قلبه تمكناً لا يمكن في العادة الانفكاك عنه؛ فيجري منه مجرى الكَلَبِ من صاحبه؛ كما جاء في حديث الفرق[1].

والكَلَبُ داءٌ عُضال، لا يرجى شفاؤه، وكذلك البدع.

وهو -أيضاً- خبيثٌ مُعْدٍ، وكذلك البدع، وعلى هذا يحمل قول رسول اللّه ﷺ: «إن اللّه احتجز التوبة عن صاحب كل بدعة»[2].

---

(١) انظره مخرجاً بطرقه ورواياته في كتابي: «نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق الأمة».

(٢) حسن؛ كما في «الصحيحة» لشيخنا -رحمه الله- (١٩٦٠).

أي: أن البدع تتجارى بأهلها؛ فتحول بينهم وبين التوبة على الغالب، واللَّه غالبٌ على أمره، لكن أكثر الناس لا يعلمون[١].

وأما الوصف، فإن من اتبع هواه كان ضالاً.

قال -تعالى-: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ [القصص: ٥٠].

وأما المجتهد الذي يتحرى مواقع الحقّ، ولكنه يزل عنها أحياناً؛ فيسمى ما صدر عنه خطأ أو غلطة أو زلّة.

وأما النتيجة؛ فإن كلّ مبتدع مذموم آثم؛ كما قال ﷺ: «كل بدعة ضلالة»[٢].

وببيان مصير الضلالة، وأنها في النار؛ تعلم أن معناها: الإثم لا الخطأ، حيث حمل بعضهم لفظ: «ضلالة» على الخطأ؛ لأن ذلك من معانيه.

بينما كل مجتهد مأجور؛ كما قال ﷺ: «وإذا حكم الحاكم، ثم أصاب؛ فله أجران، وإذا اجتهد، ثم أخطأ؛ فله أجر»[٣].

وبهذه الإشارات يتبين الفرق الشاسع بين المبتدع والمجتهد الذي أخطأ، وقد أدغمت في طيّاتِها علماً جمّاً، يدركه من شمّ رائحة العلم بأدنى تأمّل؛ وأما من اتبع هواه؛ فبينه وبين ذلك حجابٌ مستورٌ، وحجرٌ محجورٌ؛ لأنه يرى ظلام الباطل نوراً، واعتقاد الحق ثبوراً[٤].

---

(١) وانظر ما تقدم (ص٦٤).

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) كحال الطائفة «الحدادية» أتباع الجويهل محمود الحداد المصري الذي زعم أن كلَّ خطأ وقع فيه العلماء بدعة، ثم زعم أن كل من وقع في البدعة؛ فهو مبتدع، ثم جعل ذلك سوطاً يخطم به من خالفه؛ فقال: وكل من لم يبدع المبتدع؛ فهو مبتدع!!

=

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفقه الواقع

أخذ بعض الشباب الإسلامي بأخرة يستغرق وقته في أمور لا تعنيه، وينفق جهده في أحداث لا تهمه في عمله الإسلامي، ويقضي عمره في مسائل لا تفيده في أداء واجبه الشرعي؛ حيث أَدْمَنَ متابعةَ الجرائد والمجلات، ورَصْدَ النشرات والإذاعات، فأصبح لا يتحلّق إلا حول صحفي أو مذيع! جاثياً بين يديه كالحَمَل الوديع، لاهثاً وراء مستجدات الوعد المفترى وأوهام التطبيع، ولذلك أطلق في أهل العلم وطلابه القول الفظيع، وشنع عليهم بضروب التشنيع، فأقفرت مجالسهم إلا من طائفة لا يضرها من خذلها أو خالفها وقليل ما هم.

وبرز في هذه الأوساط الشبابية ذات الرؤية الضبابية أنصاف فقهاء حتى قيل في بعضهم: إنّه أَصَّل الفقه الواقع؛ كما أَصَّل الشافعي أصول الفقه!، وقد جمعنا مع آخر مجلس نصح للّه ولرسوله؛ فأخبرنا أن دروس العقيدة الطحاوية التي يلقيها يحضرها عشرات؛ بينما حلقات الفقه الواقع يضيق المسجد وتمتلئ الطرقات، فلما بَصَّرْناه بواقع الفقه الواقع فتح فاه! وبقي باهتاً متحيراً! وما نطق بكلمة! مُقِراً بذلك أن هذه ظاهرة مَرَضِيّة لا مُرْضِيَة.

لقد خفي على المتبوع والتابع من دعاة الفقه الواقع: أن تحليل الأحداث الجارية، وربط الوقائع، واستنباط النتائج في غاية التعقيد بادي الرأي؛ لأن مصادر

= وقد صار حالهم إلى تمزيق قاموس السنة؛ أعني: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» وحرق «شرح صحيح مسلم» بدعوى أن النووي وابن حجر مبتدعان!

وقد ردّ عليه إخواننا أهل العلم السلفيون في المدينة النبوية؛ فخمدت بدعته، وخمل ذكره؛ فجزاهم الله خيراً.

دلك في أيدي أعداء اللّه، وكذلك هي لا تعدو مجرد اجتهادات وظنون وآراء فيها صواب وخطأ، وخطؤها أكبر من صوابها، ولذلك؛ فلا يمكن الاعتماد عليها أو الركون إليها، وكم خالف ذلك أناس؛ فجزموا لأنفسهم، أو سلّموا لغيرهم بتوقعات؛ فلما تبين لهم الرشد في ضحى الغد أصيبوا بإحباط وإحراج وإن حاولوا التملص بالقدقدة والعبارات الحمّالة التي تأخذ شكل الإناء الذي توضع فيه، ولكن الشمس لا يحجبها غربال.

وتناسى كثير منهم: أن دخول هذا الباب يحتاج درجة عالية من علم الكتاب والسنة، ورسوخ فهم في منهج السلف الأول، وإلا عكست الأمور عندما يُقَلِّب الكفرة والمنافقون وأقماع القول الأمور، وحينئذ يقع أحدهم في حلقة مفرغة يلف ويدور، يتمنى أن ينتهي من حيث بدأ؛ لأنه لن يخرج سالماً، ولن يعود غانماً.

لقد جنوا عكس ما توقعوا، وحصدوا خلاف ما أرادوا؛ لأن الأمر إذا زاد عن حدّه انقلب إلى ضده:

١- لقد أصاب كثيراً منهم اليأسُ؛ لسماعهم أخبار هيمنة الكفار وتخلف المسلمين، وبخاصة أن أعداءَنا لا ينشرون خبراً إلا لمصلحتهم، بل صاروا يستخدمون ما نشر عنهم أداة لتخذيل المسلمين وتثبيط العاملين عن مقاومتهم، إذ يوحون إليهم أن كل ما خطّطوه قد نفذوه، وكأن ملكوت كلِّ شيء بأيديهم، ولذلك فهم الذين يروجون لـ«بروتوكولات حكماء صهيون»، و«الحكومة الخفية» و«لعبة الأمم»، و«أحجار على رقعة الشطرنج»!!

٢- حصلوا على معلومات مكذوبة وتشويهات مدسوسة؛ فأعداؤنا يَشْغَلُون الناس في أمور، وهم يخططون لغيرها، وفي فترة انشغال الناس بما لا يعنيهم ولا يعينهم ينفذ أعداؤنا مخططاتهم... أليس تفاصيل ما يديره الأعداء من مؤامرات وعمليات يحتفظون بسريتها ويخشون انكشافها قبل أوانها... أوليس الحرب خُدعة؟!

٣- الذوبان في دوامة الأحداث ونسيان أن للمسلمين رؤية شرعية لما حولهم نابعة من معتقداتهم، تابعة لقيمهم وإدراكهم لغاية وجودهم: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ [البقرة: ١٤٣].

٤- اتهام العلماء الربانيين بجهل سبيل المجرمين، والانعزال عن مسائل العصر، والتقوقع على القديم، وعدم معرفة الواقع الأليم.

قال الدكتور بكر أبو زيد: «.. والعالم الذي لم ينتم إليهم يُلَقَّبُ بأنه ليس واعياً، أو: غير واع بالواقع، و: غير فاهم للواقع، وإلصاق التهم الكاذبة بالعلماء، والتنفير منهم، والنظر إليهم بعين السُّخْط والاستصغار.. وهكذا: تشييد جسرٍ ممتدّ من الغمز واللَّمز لعلماء الأمة، والتنقُّص بهم»[(١)].

وهذا ساق عدة المستقبل وأمل الغد من شباب اليقظة الإسلامية؛ للارتماء في محاضن الأدعياء، أو الانتماء لأحزاب جوفاء؛ كما في الحديث: «إن اللَّه لا ينتزع العلم انتزاعاً من العباد؛ ولكن بقبض العلماء حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً (وفي رواية: رؤساء) جهالاً، فسئلوا فأفتوه بغير علم (وفي رواية: فيفتون برأيهم) فضلوا وأضلوا»[(٢)]، وحينئذ يساق الشباب المسلم ليقدموا وقوداً لعواطف المستعجلين وحماسات المترئّسين، وتقام العقابيل في وجه الدعوة، ويعود الناس القهقرى؛ لأن سنة اللَّه ثابتةٌ؛ كما أكده العالمون: من استعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه.

٥- ولقد تأثر كثير من دعاة «الفقه الواقع» بما قرؤوه في كتب القوم؛ فآل أمرهم إلى تطبيق ذلك في تعاملهم مع أهل العلم وطلابه الذين خالفوهم في

---

(١) «حكم الانتماء» (ص ١٤٨-١٤٩).

(٢) متفق على صحته.

بدعتهم وحزبيتهم؛ فصاروا يخترقون تلاميذ أهل العلم وتحزيبهم ضد مشايخهم؛ كما فعلوا ببعض من تتلمذ على الشيخ مقبل بن هادي الوداعي -حفظه الله، وعافاه- لما ردّ رؤوسهم وهم يعرضون عليه حزبيتهم.

وقد يجعلون بعض أتباعهم عيوناً ينقلون إليهم أخبار أهل العلم ويرصدون أحوالهم حتى في داخل بيوتهم لعلهم يقفون على زلة أو تقصير؛ فيضخمونه ويسمونه: فضائح! وتناسوا أن من تتبع عورة مسلم تتبع الله عورته وفضحه ولو في عقر داره!

وتدبر هذه الكلمات لتعلم حقيقة القوم: حدّثني أحد إخواننا طلاب العلم الثقات أنه زار سعيد حوى[1] في مرضه الأخير؛ فسمعه يقول: لو اجتمعت المخابرات العالمية لما استطاعت أن تشوه سُمْعَةَ إنسان كما يستطيع ذلك الإخوان المسلمون!.

وقد يجعلون بعض أشياعهم يتقربون لأهل العلم ويفرطون في خدمتهم حتى يثقوا بهم ويركنوا إليهم وعندئذٍ يتحكّمون فيهم؛ فلا يصل إلى أهل العلم إلا من شاؤوا ولا يخرج إلا ما أرادوا ...لكن مكر أولئك هو يبور.

وبالجملة: فالواقع يشهد أن الفقه الواقع ليس له واقع، وأن ما قرره أشياخنا الأماجد: الألباني، وابن باز، وابن عثيمين -رحمهم الله- حول الأحداث الإقليمية والعالمية نور ساطع[2].

---

(١) هو أحد قادة الإخوان المسلمين في سورية.

(٢) وانظر -لزاماً- رسالة شيخنا أسد السنة وقامع البدعة الألباني -رحمه الله-: «سؤال وجواب حول فقه الواقع»، ورسالة أخينا الشيخ علي بن حسن الحلبي -حفظه الله-: «فقه الواقع بين النظرية والتطبيق».

قضايانا الكبار

تعيش الأمة الإسلامية في الأعصار المتأخرة فوضى علمية دبت في أوصالها؛ فخلخلت بنيانها، وتظهر بوضوح في مجال الفتوى، والسياسة؛ فنحن نرى من هبَّ ودبَّ يفتي وينظّر، ويطلق الأحكام على القضايا العظام بدعوى؛ أنه لا يوجد كهنوت في الدين، ولا أحد يحق له أن ينصّب نفسه قيّماً عليه.

لقد ارتدى كثيرٌ من أنصاف الفقهاء عباءة الفتوى بهذا التعليل العليل؛ فترى أحدهم يجهل الضرورات ويفتي في المعضلات، ويتساءل عن الصغير وهو جريء في استحلال حرمات الكبير؛ فحريٌّ بالمخلصين البكاء، فقد بكى ربيعة الرأي يوماً فقيل له: ما يبكيك؟! قال: «ظهر في الإسلام أمر عظيم؛ استفتي من لا علم له».

لقد كان السابقون الأولون لا يفتون حتى يشهد لهم العلماء الربانيون؛ قال مالك بن أنس -رحمه اللَّه-: «ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك».

إنه أمرٌ مُبْكٍ أن ترى الأقزام يتسابقون في إصدار الأحكام في القضايا الجسام!!

إن الجرأة على الفتوى لا تدل على العلم أو الرسوخ بل هي أمارة عكس ذلك.

إن هؤلاء المتصدرين قبل التأهل يصدق فيهم قول سفيان الثوري -رحمه اللَّه-: «بعض من يفتي هاهنا أحق بالسجن من السُّرَّاق».

وأما في مجال السياسة الشرعية فكم من قضية شغلت الأمة سنين عدداً وحار فيها الراسخون ولو كانت في الصدر الأول لَجُمِعَ لها أهلُ بدر: تسابق الأدعياء إلى التنظير فيها؛ فتراهم يستبيحون الدماء والفروج بأخبث حيلة وأخسّ وسيلة... ولكن جزى اللَّه مشايخنا الفضلاء؛ كناصر السنة الألباني وإمام أهل السنة

عبدالعزيز بن باز وفقيه الزمان محمد بن صالح العثيمين -رحمهم اللَّه- خيراً؛ ممّن يُقال فيهم -وبهم-: «المسائل الكبار بحاجة إلى العلماء الكبار».

وعلى الجملة؛ فقد ظهر في ساحة المسلمين ما أخبر به الصادق الأمين؛ فقد ضُيّعت الأمانة؛ وَوُسِّد الأمر إلى غير أهله؛ وَوُضع النصاب في غير محله؛ وطُلب العلم عند ذوي الكنى الأصاغر[1]؛ ممن رتعوا في لحوم العلماء، وأُشربوا بغضهم كالماء، ونبزوهم بأحقر الألقاب والأسماء؛ فهم عندهم مرجئة؛ لأنهم نجوا من فتنة التكفير؛ وفقههم لا يتعدى سراويل امرأة؛ لأنهم لا يدغدغون العواطف ولا يستثيرون الحماسات الفارغة... فإذا بالمخلص يقلب كَفّيهِ أسفاً وحزناً! لانفتاح الفتنة التي صرعت عدة المستقبل في أحضان الأدعياء.

... ولكن لا تَغُرَّنَّكم البُرقة؛ فإنها فجر كاذب، ولا تهونكم المفاجأة؛ فإن الجهابذة ينخلونهم نخلاً؛ كما قال رسول اللَّه ﷺ: «يحملُ هذا العلمَ من كُل خلف عدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[2].

وكُلٌّ يقوم حسب وسعه وطاقته على منهاج النبوة؛ فإن النصح لكل مسلم ميثاق نبوي؛ ليعود الإسلام صافياً يتلألأ نقياً؛ كما أنزل على محمد ﷺ؛ وكما فهمه الصحابة الأبرار والتابعون الأخيار، ويومئذ يفرح إخوان رسول اللَّه ﷺ الذين اتبعوه ولم يروه واتبعوه بنصر اللَّه: ﴿ولينصرن اللّه من ينصره إن اللّه لقوي عزيز﴾ [الحج: ٤٠].

---

(١) كأبي حمزة المصري، وأبي قتادة الفلسطيني، وأبي بصير السوري ...إلخ

(٢) مضى تخريجه (٧٥و٩٣).

حصانة أهل العلم وطلابه

قسّم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -في وصيته للكُمَيل بن زياد- الناس ثلاثة أقسام: «الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق»[1].

وهو تقسيمٌ في غاية الصحة ونهاية السداد؛ لأنه يرجع في نفس الأمر إلى قسمين: أهل العلم وطلابه، وهمج رعاع.

فأما أهل العلم وطلابه؛ فلم تَزِلَّ بهم قدم، ولم تتعثر بهم خطوة، ولم يَنْقُضُوا غزلهم من بعد قوة أنكاثاً، لأنهم استناروا بنور العلم، فلجؤوا إلى ركن ركين، وحمى متين، وحصن حصين.

وأما الهمج الرعاع؛ فهم مذبذبون؛ كالشاة العائرة بين الصفين، يتبعون كل ناعق، ويصيحون مع كل مارق، ولو سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبَّثُوا خلالها إلا يسيراً؛ فهم حطبها.

وهذا يؤدي إلى فهم سامق، ومعنى رائق، ومغنى فائق، وهو: أن العلم حصانة لأهله وطلابه، ولذلك سمى اللَّه كتابه نوراً، ودينه نوراً، ورسوله نوراً، ووصف نفسه بأنه نور السماوات والأرض، وكذلك الإيمان نور، ولذلك أقول: ما من كلمة أصدق، ولا تعبير أدق، ولا فهم أعمق من الإخبار عن حقيقة العلم والإيمان بأنها نور، وعن واقع الجهل والبدعة والكفر والنفاق بأنه ظلمات؛ كما في

---

(١) انظرها مخرجة في كتابي: «الإسعاد».

قوله -تعالى-: ﴿اللّه وليّ الّذين آمنوا يخرجهم مّن الظّلمات إلى النّور والّذين كفروا أولياؤهم الطّاغوت يخرجونهم من النّور إلى الظّلمات أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فالعالم يجد حلاوته في قلبه، ويتذوق طعمها في كيانه، ويجني ثمارها في جميع مفردات حياته: في رؤيته للواقع، وتقديره للأشخاص والجماعات والمجتمعات، وتقييمه للأحداث، وتقويمه للأشياء.. ويجدها في قلبه نوراً فيجد الوضوح في كل شأن، وأمر، وحدث، ويلمس اليقين في نفسه، ونواياه، وخواطره، وخطته، وحركته.

ثم إن العلم نور يشرق به كيان المؤمن، وتَشِفُّ به روحه، ويسمو به عقله، وتصفو به حياته، فتغشى السكينة باله، وحاله، ومقاله، ومآله... كل ذلك بغير غبش، ولا لبس، ولا اضطراب.

وأما الهمج الرعاع فيعيشون في ظلمات متنوعة ومتعددة.. ولكنها كلها ظلمات.. ظلمة الشهوات، وظلمة النزعات، وظلمة الشبهات، وظلمة التيه والشرود والانقطاع في بيداء الأهواء التي يعصف بها اضطراب الموازين، وتخلخل الأحكام، وتحلُّل القيم، فهو يتقلب في شكّ وقلق وحيرة ووحشة؛ لأنه انقطع عن حمى الجناب الآمن والركن المطمئن؛ فينقدح ذلك في قلبه بأول عارض من شبهة، فتؤثّر فيه البداآت،وتقلقله أوائل الأمور؛ فيتعجل أمره قبل استحكامه، ويركب أعناق العجلة والطيش، بخلاف الراسخ في العلم لو وردت عليه الشبه والفتن مثل: أمواج البحر ما أزالت يقينه بل زادته ثباتاً ورشداً، فقلبه باشر حقيقة العلم، وعقله عَقِلَ كُنْه الأناة والحلم.

وأما المسترشد على سبيل النجاة؛ فهو يرد الأمر إلى الذين يستنبطونه، ويقف عند نصحتهم، وهذا طوق النجاة وحبل الحياة وتأمل بثاقب فكرك وصية شيخ الإسلام ابن تيمية لتلميذه ابن قيم الجوزية: «وقال لي شيخ الإسلام -رضي اللّه عنه- وقد جعلتُ أُوردُ عليه إيراداً بعد إيراد: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل: السِّنْجَة؛ فيتشرّبها؛ فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر

الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقرّاً للشبهات، أو كما قال.

فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك».

قلت: صدق، فإن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة، ولذلك؛ فإن أقماع القول تخطفهم الشكوك والريب حيثُ يُصِرُّوْنَ على ما فعلوا وهو يعلمون...؛ ولذلك كان من دعاء رسول الله ﷺ: «اللَّهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة في الرشد»[1].

(١) صحيح- أخرجه الترمذي وأحمد والطبراني في «المعجم الكبير» وغيرهم.

النكت الحسان في شكوى أهل الزمان

يلاحظ من تتبع سير العلماء شكواهم أهل زمانهم، وقد يظن ظانّ أنه تذمر ونكول وتهاون، وليس كذلك؛ فقد شكى الأنبياء أقوامهم للّه؛ فهذا نوح ﷺ يشكو قومه: ﴿قال نوح ربّ إنّهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً ومكروا مكراً كُبّاراً﴾ [نوح: ٢١و٢٢].

وهذا محمد ﷺ: ﴿وقال الرسول يا ربّ إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ [الفرقان: ٣٠].

وقد شكى الصحابة كذلك؛ فعن أم الدرداء قالت: دخل عليَّ أبو الدرداء وهو مغضب، فقلت: ما أغضبك؟ «فقال: واللّه، ما أعرف من أمة محمد إلا أنهم يصلُّون جميعاً».

وعن أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال: «ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة».

وقد فعل مثل ذلك العلماء؛ فهذا القرطبي المفسر يشكو أحوال أهل زمانه؛ فقد شكى ظلمهم، فعقَّب على مقولة الحسن البصري: «استغفارنا يحتاج إلى استغفار» بقوله: «هذا يقوله في زمانه، فكيف في زماننا هذا الذي يُرى فيها الإنسان مكبّاً على الظلم حريصاً عليه لا يقلع، والسبحة في يده زاعماً أنه يستغفر اللّه من ذنبه، وذلك استهزاء منه واستخفاف»[1].

---

(١) في «تفسيره» (٤/ ٢١١).

وقد أكثر -رحمه اللَّه- من هذا؛ فشكى تخاذل قومه حتى احتل العدو ديارهم[١]، وشكى سوء أخلاق أهل مصر، وعدم وجود الغيرة في كثير من أهلها[٢].

وتأمل ما قاله الذهبي بعد الحديث الصحيح: «الدين النصيحة»: «فتأمل هذه الكلمة الجامعة؛ فمن لم ينصح للَّه وللأئمة وللعامة كان ناقص الدين.

وأنت لو دعيت: يا ناقص الدين، لغضبت، فقل لي: متى نصحت لهؤلاء؟ كلا، واللَّه، بل ليتك تسكت ولا تنطق، أو لا تُحَسِّن لإمامك الباطل، وتُجَرِّئه على الظلم وتغشّه، فمن أجل ذلك سَقَطْتَ من عينه ومن أعين المؤمنين، فباللَّه قل لي: ومتى يفلح من كان يسرّه ما يضرّه؟! ومتى يفلح من لم يراقب مولاه؟ ومتى يفلح من دنا رحيله، وانقرض جيله، وساء فعله وقيله؟

فما شاء اللَّه كان، وما نرجو صلاح أهل هذا الزمان؛ لكن لا ندع الدعاء، لعل اللَّه يلطف! وأن يصلحنا، آمين!»[٣].

ووراء جواز شكوى تَغَيُّر الزمان وأهله فوائد جمّة وفرائد مهمّة نقتنص منها:

١- طلب النصرة والعون في الدعوة إلى اللَّه.

قال -تعالى-: ﴿فلما أحسَّ عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى اللَّه﴾ [آل عمران: ٥٢].

عن جابر قال: كان يعرض نفسه على الناس في الموقف، فيقول: «ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أُبَلِّغَ كلام ربي»[٤].

---

(١) في «تفسيره» (٧/ ٩-١٠).

(٢) في «تفسيره» (٩/ ١٧٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٥٠٠).

٢- معرفة أمراض المجتمع؛ لعلاجها، واجتنابها.

٣- دعاء اللَّه بأن يصلح الأحوال، وأن يلطف بالعباد، وقد مضى شيءٌ من هذا في كلام الذهبي -رحمه اللَّه-.

واعلم أخا الإيمان: أن هذا الباب لا يَرِدُ عليه قول رسول اللَّه ﷺ: «إذا قال الرجل هَلك الناس؛ فهو أهلكهم»[1].

وفي رواية «فهو من أهلكهم».

وذلك لأمور منها:

أ- إن القول الأخير يقع على سبيل الإزراء عليهم، والاحتقار لهم، وتفضيل نفسه؛ فيدخل العُجْب إلى نفسه، والعُجْب من المهلكات.

ب- قد يشتغل القائل بعيوب الناس؛ فينسى عيب نفسه؛ فتتراكم عليه عيوبه وذنوبه وسيئاته وهو لا يشعر؛ فتهلكه.

ت- قد يؤول به إلى اليأس من صلاح الناس وإصلاحهم؛ فيدع الدعاء والدعوة؛ فيكثر الخبث؛ فعندئذ يهلك الناس جميعاً وهو أولهم؛ لأنه لم يتمعّر وجهه غضباً للَّه، ولم يك من المصلحين.

وتأمل قول الذهبي -رحمه الله- الآنف: «... لكن لا ندع الدعاء، لعل الله يلطف! وأن يصلحنا، آمين!».

---

(٤) صحيح - أخرجه أبو داود والترمذي، وهو صحيح.

(١) أخرجه مسلم.

لماذا نخشى النقد؟

إن التّواصي بالحقّ والتّواصي بالصّبر والتّواصي بالمرحمة ميثاق إسلامي أخذه اللّه -جل جلاله- ورسوله ﷺ على الجيل القدوة الأول وقرن الأسوة الأمثل ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [العصر: ١-٣].

وقوله: ﴿ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة﴾ [البلد: ١٧و١٨].

عن جرير بن عبداللّه -رضي الله عنه-: «بايعت رسول اللّه ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنّصح لكل مسلم»[١].

ولذلك جعله الرسول ﷺ مِن أُسِّ الدين؛ فعن تميم الداري -رضي اللّه عنه- أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة» -ثلاثاً-، قلنا: لمن؟ قال: «للّه، ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»[٢].

وما ذلك إلا لأنه مُحَصِّلَةٌ لغرض الدين؛ حيث تبرز من التناصح صورة الأمة المسلمة ذات الكيان الخاص، والرابطة المتميزة، والوجهة الموحدة، والتي تشعر بواجبها كما تشعر بوجودها، وتعرف حقيقة ما هي مقدمة عليه من السير بالبشرية على طريق الإيمان والعمل الصالح إلى القمة السامقة في مقعد صدق عند مليك

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً، ووصله مسلم.

مقتدر؛ فتتواصى فيما بينها بما يعينها على النهوض بالأمانة الكبرى، والإمامة العظمى.

فمن خلال لفظ (النصيحة) المتضمنة كلمة (التواصي) -ومعناه، وطبيعته- تبرز صورة الأمة المتضامنة، الخيرة، الواعية، القيِّمة في الأرض على الحقّ والعدل والخير.

وهي أنصع مظهر وأرفع صورة للأمة المختارة التي أرادها اللَّه أن تكون قائمة على حراسة الحقّ والخير، متواصية بالخير والصبر في مودة وتعاون وتآخ تنضح بها كلمة التواصي.

إن التواصي بالحقّ ضرورة للنهوض بالحقّ؛ لأن المعوقات كثيرة: هوى النفس، ومنطق المصلحة، وتصورات البيئة، وضغط الناس... إلخ.

والتواصي تذكير، وتشجيع، وإصلاح، وإشعار بالقربى في الهدف والغاية والأخوة في العبء والأمانة؛ فهو حصيلة الاتجاهات الفردية كلها، حيث تتفاعل معاً، فتتضاعف أضعافاً كثيرة، ويقوى أمرها، وتستغلظ؛ فتستوي على سوقها؛ لتؤتي أكلها كل حين -بإذن ربها-.

والتواصي بالصبر ضرورة، لتتضاعف المقدرة على الثبات على الحق، بما يبعثه من إحساس بوحدة الهدف، ووحدة المسار، وتعاضد الجميع، وتزويدهم بالحب والعزم والإصرار.

والتواصي بالصبر معيار تماسك الأمة المسلمة؛ فهي أعضاء متجاوبة الحس، تشعر شعوراً واحداً؛ فيوصي بعضها بعضاً بالصبر على العبء المشترك، ويثبِّت بعضها بعضاً؛ فلا تتخاذل، ويقوي بعضها بعضاً، فلا تتولى يوم الزحف.

وهذا الصبر هو غير الصبر الفردي، وإن كان قائماً عليه، فهو إيحاء جلي بواجب المؤمن في الأمة المسلمة؛ فلا يكون عنصر تخذيل وتثبيط، بل عنصر تثبيت

وتنشيط، ولا يكون داعية هزيمة وإحجام بل داعية ثبات واقتحام، ولا يكون مثار هلع وجزع وفزع بل مهبط سكينة وطمأنينة.

والتواصي بالمرحمة إشاعة الشعور بواجب التراحم والتعاطف والتوادّ في الصفوف المؤمنة؛ ليزداد البنيان تماسكاً، حيث يكون التحاضُّ على المرحمة واجباً فردياً جماعياً في الوقت نفسه، يتعارف عليه الجميع، ويتعاون عليه الجميع.

لقد مارس الجيلُ القدوةُ الأولُ النُّصْحَ على أعلى المستويات وأدناها: للّه، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين، وعامتهم.

ولما كان معلوماً بالضرورة في فقه سنن اللّه في التغيير أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها، كان لزاماً فتح نوافذ النقد والحوار والنصح؛ لأنه من حق المسلمين جميعاً أن يتلقوا الرسالة الإسلامية صحيحة؛ كما أنزلت على قلب محمد ﷺ، وأن يكون خطاب التكليف سليماً صحيحاً؛ لتكون الاستجابة صحيحة، لأن السلوك السوي ثمرة للفهم السليم الذي يحصل من التلقي السليم.

ولأن العاملين للإسلام نواة مجتمع إسلامي منشود فهم أحقُّ الناس بذلك.

فالواجب أن لا يستوحش المسلم من نصح يسمعه، أو نقد يقرؤه، أو تذكير يبصره سواء أكان موجهاً إلى شخصه أم إلى شيخه أم إلى حزبه وجماعته، فلعل في ذلك خيراً وإن كرهه ولكنه لم يتبيّنه:

لعلّ عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل

وهذا الأمر غير موجود في كثير من أفراد الأحزاب الإسلامية «فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلى، ومصدودون عنه، قيّدتهم العوائد والرسوم، والأوضاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة؛ فأضحوا عنها بمعزل، ومنزلهم منها أبعد منزل، فترى أحدهم يتعبد بالرياضة والخلوة، وتفريغ القلب، ويعد العلم قاطعاً له عن الطريق! فإذا ذكر له الموالاة في اللّه، والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: عدّ ذلك فضولاً وشراً، وإذا رأوا بينهم من يقوم بذلك؛

أخرجوه من بينهم، وعدُّوه غيراً عليهم، فهؤلاء أبعد الناس عن اللَّه، وإن كانوا أكثر إشارة»[١].

إنها الحزبية التي نهشت بأنيابها الجسم المؤمن فمزقته أيادي سبا[٢]، وفرَّقته شذر مذر، وصار كل حزب بما لديهم فرحين، وكلٌّ قد نصب له شخصاً غير النبي ﷺ يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليه، وكتب كلاماً غير الكتاب والسنة يتكئ عليه!

فإذا كشفت النقاب عن الأفراد والجماعات والأحزاب التي أسرتها قيود الحزبية، وكتمت صوتها دهاليز السرية، وجدت هوى متبعاً، وشحاً مطاعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فإذا تقدّم مسلم من خارج صفهم بنصيحة للَّه ولرسوله قالوا: مثبط مشوش متساقط.

ليعلم هؤلاء الإخوة أن هذا التوهم باب من تلبيس إبليس؛ ليضمن استمرار الانحراف، ومتابعة الانزلاق، ولذلك أقول:

إن التستر على الخطأ وقبوله يُنمِّي العلل؛ فنصاب بما يشبه الورم.

إن الإبقاء على الأخطاء وعدم كشفها -مهما تعددت الأسباب- ألغام موقوتة فتيلها بيد العدو يفجّرها أنى شاء؛ فيخرّ العمل الإسلامي صريعاً؛ لأنه جهل سبيل المجرمين.

إن الأعداء الذين تداعوا علينا كما تداعى الأَكَلَةُ إلى قصعتها أعرف منا بأخطائنا، لأنهم كانوا -ولا يزالون- يتسللون منها لواذاً، ويعملون على تثبيتها واستمرارها، وعدم مقدرتنا على إبصارها، وتخويفنا من معالجتها.

---

(١) «مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية (٣/ ١٧٦).

(٢) العرب لا تهمزه في هذا الموضع؛ لكثرة الاستعمال، انظر «لسان العرب» (١/ ٩٤).

إن الذين لا يريدون معرفة الأخطاء هم نحن، لأننا مصرُّون عليها عاجزون عن تجاوزها.

إن إخلاص كثير من الذين يحذرون عملية النصح والنقد والتواصي لا يكفي لبلوغ الغاية؛ لأن هذه الأبواب لا تقلُّ أهميةً عن الإخلاص، فاللَّه -سبحانه وتعالى- لا يقبل الإخلاص دون الصواب؛ فإن الإخلاص والصواب ركنا العمل الصالح الذي يرضاه ربنا.

إن تسويغ الأخطاء لا يقتصر على إبقائها ونموها إنما يؤدي إلى تكرارها وانشطارها؛ فالمسلم يتبع الحقّ إذا اتضح، والدليل إن صَحّ.

وختاماً أقول: إن تطهير الجسم من داخله هو الذي يَهَبُ الصحة، ويزيد المناعة، ويرفع المقاومة، لأن العمل تحت ضوء الشمس يقتل العفونة، ويكشف محاضن الجراثيم التي تنخر في خلايا الجسم، وتمتص دمه، وهو القنطرة التي يمر عليها التغيير الأكيد التأثير: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [الرعد: ١١].

إذن... فلماذا نخشى النقد؟!

فقه الاستخلاف: آيته وغايته

إن للعبودية لله حقيقة ضخمة، وقوة هائلة لها ثقلها في تحقيق موعود الله للطائفة المؤمنة في الاستخلاف في الأرض والتمكين للدين في واقع الحياة، فمن أراد بلوغ هذا الأمل المنشود، وإعادة ذلك المجد المفقود، فلا بد أن يبحث عن مصداقها وهو يدرك حقيقتها، ويعلم كيف تحقيقها؛ قبل أن يتشكك أو يرتاب أو يستبطئ نصر الله.

وهذا الوعد الرباني واقع ما له من دافع، وصادق غير مكذوب؛ لأنه وعد من لا يخلف الميعاد؛ ولا تتخلف سنته فيمن استحقها.. ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾ [النور: ٥٥].

والاستخلاف وعد الله للطائفة المؤمنة في كلّ قرن حتى يأتي أمر الله: ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ [النور: ٥٥]؛ لأنه ممن علم الأشياء قبل وقوعها؛ فلا رادّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا مبدل لكلماته: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون. إنّ في هذا لبلاغاً لقوم عابدين﴾ [الأنبياء: ١٠٥ و١٠٦].

إنّ آيةَ فهمِ الاستخلافِ قولهُ -تعالى-: ﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ [النور: ٥٥]؛ فالتمكين للدين في دنيا الناس ليصرِّف شؤونها، ويدبر أمورها ويهيمن عليها لا يتم إلا إذا تغلغل في قلوب أتباعه، وتصرَّف في دقائق شؤون حياتهم، فإذا رأيت دعاته كذلك؛ فاعلم أن نصر الله قريب.

ومن هنا كانت مقولة بعض الدعاة: «أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم؛ تقم لكم على أرضكم» حكيمة[1]؛ لأن من أراد أن يفرح بنصر الله؛ فلا بد أن يكون قائماً على أمر الله؛ فلا يُؤْتَيَنَّ الدينُ من قِبَلِه: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ [محمد: ١٩].

وما ذاك إلا لأن الاستخلاف في الأرض والتمكين للدين ثمرة للإيمان والعمل الصالح ولن تنضج الثمرة إلا إذا كان غرسها قد استغلظ، واستوى على سوقه، وكان أصله ثابتاً وفرعه في السماء.

ولقد صدق الإمام الشافعي عندما سُئِلَ أيهما خير للعبد التمكين أم الابتلاء؟ فقال -رحمه الله-: لا يكون التمكين إلا بعد الابتلاء!.

وهذا مصداق قول الله -تعالى-: ﴿الم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ [العنكبوت: ١-٣].

وهنا تبرز ضرورة العبودية من قبل الاستخلاف والتمكين في الآية نفسها تعليلاً للاستخلاف والتمكين ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ [النور: ٥٥].

ولكن للاستخلاف تكاليفه في النفس البشرية والحياة الإنسانية من عدم الغرور والبطر، وعدم إلقاء الأيدي إلى التهلكة بالتراخي والركون إلى زهرة الحياة الدنيا، والتهاون في أمر الله.. إذ إن كثيراً من الناس يصبرون على المحنة والضراء، لكنهم يتساقطون عند التمكين والنعماء.. أليس الابتلاء يكون بالخير والشر؟!

إن ثبات القلوب على الحقّ بعد التمكين للحقّ واستخلاف أهله منزلة فوق التمكين والاستخلاف؛ فهو الذي يحميه ويحرسه ويعزّزه، وهذه الحقيقة التي سطرها

---

(١) انظر -لزاماً- (ص٧٦).

القرآن بحروف بارزة في قلوب عباد الرحمن: ﴿ولينصرنّ اللّه من ينصره إنّ اللّه لقويّ عزيز . الّذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصّلاة وآتوا الزّكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وللّه عاقبة الأمور﴾ [الحج: ٤٠و٤١].

إنه ثبات على المنهج بعد الاستخلاف والتمكين؛ كما ثبتوا عليه من قبل، وهم يلاقون أشد أنواع الابتلاء على يد الكافرين، وبه يتبين أن العبودية سبب الاستخلاف والتمكين، فقد وصفهم بالإيمان والعمل الصالح قبل الاستخلاف والتمكين؛ كما في سورة النور، وهي غاية الاستخلاف والتمكين وحلية جند اللّه المنصورين بعد الاستخلاف والتمكين؛ كما في سورة الحج.

وإذا كانت العبودية للّه سبب استخلاف جيل القدوة الأول وقرن الأسوة الأمثل: محمد والذين معه؛ فهي كذلك سبب استخلاف الطائفة المنصورة والفرقة الناجية الذين هم على ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه... وإن كنت في ريب من ذلك؛ فتدبر وصف رسول اللّه ﷺ للجيل المؤمن الذي لا يزال في رحم الغيب وهو يستأصل شَأْفَةَ المغضوب عليهم، ويجتثُّ جذورهم؛ ليطهر البلاد والعباد من مكرهم وخبثهم وفجورهم؛ فقد ورد عن أبي هريرة وابن عمر -رضي اللّه عنهما-، أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود؛ فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبداللّه، هذا يهودي ورائي تَعَالَ؛ فاقتله؛ إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»[1].

إن الشجر والحجر يرفع عقيرته: يا مسلم، يا عبداللّه؛ فهو يصف طلائع الإيمان وكتائب الرحمن بالإسلام والعبودية للّه رب العالمين... ومنه ندرك أهمية

(١) متفق عليه.

تحقيق العبودية في استخلاف الأمة الإسلامية، واستئناف حياة راشدة على منهاج النبوة.

إنه ما من مرة سارت الأمة على منهج اللَّه؛ ليكون الدين كله للَّه إلا تحقق وعد اللَّه بالاستخلاف والتمكين والأمن... ألا إن وعد اللَّه قائم! ألا وإن شرط اللَّه معروف! فمن شاء الوعد الكريم؛ فليؤدِّ الشرط، ويوفِّ بما عاهد عليه اللَّه، فمن وفَّى، وُفِيَ له، ومن أوفى بعهده من اللَّه؟

عن ابن عمر -رضي اللَّه عنهما-، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل اللَّه، سلط اللَّه عليكم ذلاً لا ينزعه حتى تعودوا إلى دينكم»[1]؛ واللَّه بالغ أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

---

(١) حسن - أخرجه أبو داود وغيره بإسناد حسن.

وعد التمكين ويقين المؤمنين

تعاني البشرية خواءً مريراً: في روحها من حقيقة الإيمان، وفي حياتها من منهج اللَّه؛ فقد ابتعدت -إلا من رحم اللَّه وقليلٌ ما هم- عن الواحة الفينانة الندية؛ فكان حتماً مقضياً أن تجني ثماراً طلعها كأنه رؤوس الشياطين من الشقاق والقلق، وتملأ يديها من الضَّنْك والحرمان: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال ربّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربّه ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى . أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إنّ في ذلك لآيات لأولي النّهى . ولولا كلمة سبقت من ربّك لكان لزاماً وأجل مّسمّى﴾ [طه: ١٢٤-١٢٩].

إذاً فالبشرية تحتاج إلى من ينقذها... ولكن؛ أين المفرّ؟

إن الإسلام هو وحده القادر على أن يقدم للبشرية ما يُصَحِّح خُطاها ويلائم فطرتها على قاعدة جديدة؛ كما عرفتها أول مرة يوم أن بعث اللَّه محمداً ﷺ هادياً وبشيراً وداعياً إلى اللَّه بإذنه وسراجاً منيراً..؛ ولذلك فإن المستقبل لدين اللَّه نقلاً، وعقلاً، وتجربةً، وواقعاً، وفطرة:

أما النقل؛ فحسبنا صريح آيات اللَّه وصحيح سنة رسول اللَّه ﷺ، قال -تعالى-: ﴿يريدون ليطفئوا نور اللّه بأفواههم واللّه متمّ نوره ولو كره الكافرون . هو الّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون﴾ [الصف: ٨ و٩].

عن ثوبان -رضي اللَّـه عنـه-: أن رسـول اللَّـه ﷺ قـال: «إن اللَّـه زوى لي الأرض؛ فرأيـت مشـارقها ومغاربهـا، وإن أمـتي سـيبلغ ملكهـا مـا زوي لي منهـا، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض»[1].

وأما العقل والتجربة، فإن المدنية المادية شرقيها وغربيها أصبحت عاجزة عـن الحركة أمام النكبات التي أحدثتها، وأمام الإفلاس الروحي الـذي أوجدتـه، حتـى باتت -جماعـاتٍ وأفـراداً، وشـعوباً وحكامـاً- تفكّـر في نُـذُر السـوء المحدقـة بهـم؛ فارتفعت الهتافات المنبعثة من القلوب الحائرة، والمرتفعة مـن الحنـاجر المرهقـة الـتي أضناها السُّرى في بيداء الرجل الأبيض المجدبة، لقـد لفحهـم سمومهـا، ودمـدم في كيانهم اليباب، واكتنف أرواحَهم الصقيعُ وصكَّ وجوههـم زيـف التيـار، فراحـوا يكتالون الريح من كـل حـدب وصـوب، فهدَّهـم اللغـوب وقـد تلظَّـت الهـاجرة، فراحوا ينشدون السبيل عساهم يستقبلون واحة خصبة، نديَّة النسيم وارفة الظلال، رقراقة النبع تتحدى الجو القاسي بما تنفث من عطر يفعم أرجاء الوجود.

لقد تحدثت جمهرةٌ من مفكري الغرب عن بـوادر انهيـار المدنيـة الماديـة، وأن شمسها أفلت ودنت من المغيب، وأنها لن تجـد مـن يـواري لهـا سَـوْأَةً، ويسـتر لهـا عورة.

قال (برتراند رسل): «لقد انتهى العصر الذي يسود فيه الرجل الأبيض».

وتحدث (الكسيس كاريل) في كتابـه: «الإنسـان ذلـك المجهـول» عـن مظـاهر انهيار المدينة المادية؛ لأنها أنشئت على حطام فطرة الإنسان الذي قامت من أجله.

وبشر (برناردشو) بأن المستقبل للإسلام فقال: «لقد تنبأت بأن دين محمد ﷺ سيكون مقبولاً لدى أوروبة غداً، وهو قد بدأ مقبولاً اليوم».

---

(١) أخرجه مسلم.

... وهكذا تتوالى شهادات قادة الغرب ومفكريه بأن المستقبل لدين اللّه، وما خبر السفير الألماني في المغرب (مراد فليفريد هوفمان) ببعيد؛ فقد نشر كتابه «الإسلام كبديل» يشهد فيه أن الإسلام هو مخلّص البشرية من محنتها التي كبكبها فيها الغاوون وجنود إبليس أجمعون.

فإن قيل: كيف تورد أقوالهم لتقرير أن المستقبل للإسلام وهم يكفرون به؟

فالجواب: أن اللّه -سبحانه وتعالى- جعل شهادة علماء الكتاب ومعرفتهم بالإسلام والرسول ﷺ أنّه حقّ حجة على الكافرين وعلى أنفسهم وأن المستقبل لدين اللّه، فقال -عز وجل-: ﴿وإمّا نرينّك بعض الّذي نعدهم أو نتوفّينّك فإنّما عليك البلاغ وعلينا الحساب. أولم يروا أنّا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها واللّه يحكم لا معقّب لحكمه وهو سريع الحساب. وقد مكر الّذين من قبلهم فللّه المكر جميعاً يعلم ما تكسب كلّ نفس وسيعلم الكفّار لمن عقبى الدّار. ويقول الّذين كفروا لست مرسلاً قل كفى باللّه شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ [الرعد: ٤٠-٤٣].

وعلى الرغم من شهادة قادة الفكر الغربي على أن المستقبل للإسلام وحده لا يتجهون إلى الإسلام بل يحاربونه؛ ليطفئوا نور اللّه: ﴿يريدون ليطفئوا نور اللّه بأفواههم واللّه متمّ نوره﴾ [الصف: ٨] مع أنهم يعلمون أنه الحق: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ [البقرة: ١٤٦].

وهذا -كلُّه- لحكمة ربانية بالغة في ظهور صدق اللّه ورسوله: أن تمام هذا الدين وسيطرته على الأرض سيكون رغم أنوف الكفرة الفجرة، وتأمل قوله -تعالى-: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[الصف:٨].

أما الواقع؛ فقد أخذت الأرض تنقص من أطرافها؛ فانهارت قلعة الإلحاد، وتمزق الدب الأحمر شذر مذر وتفرقت شعوبه أيادي سبا، وأتى اللّه بنيان الشيوعية

من القواعد؛ فخر عليهم السقف من فوقهم، وقذف في قلوب دعاتها الرعب؛ فإذا بهم يخربون بيوتهم بأيديهم، وينقضون غزلهم من بعد قوة أنكاثاً... وما المدنية الغربية عن ذلك ببعيد، ولتعلمن نبأه بعد حين.

وأما الفطرة؛ فإن فيها تَطَلُّعاً إلى الحق واستشراف الخير وهي متناسقة مع سنن اللَّه مسلّمة لربها إسلام كل شيء؛ فمن المحال أن تختار غير منهج اللَّه: ﴿أفغير دين اللّه يبغون وله أسلم من في السّماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون﴾ [آل عمران: ٨٣].

ومن أراد أن يضعها في غير موضعها؛ فإنه سيصطدم مع نفسه التي بين جنبيه؛ فيشقى، ويحتار، ويقلق، ويتمزق، ويتزلزل، ويعيش كما تعيش الأمم الكافرة في عذاب وحيرة ونكد!!

المستقبل للإسلام
ولكن بفهم السلف الصالح

إن إشاعة الأمل في النفوس المؤمنة بأن المستقبل للإسلام في مرحلة التكوين يجعلها مطمئنة في مرحلة التمكين، وهو ركن من أركان التربية الربانية؛ كما هو واضح جلي في حديث خباب بن الأرت[١] -رضي اللَّه عنه- عندما جاء النبيَّ ﷺ؛ ليدعو اللَّه أن ينصرهم فأخبره رسول اللَّه ﷺ أن الإسلام آتٍ آت ومنتشرٌ منتشرٌ.

فإذا تبين أن المستقبل للإسلام وحده بإذن اللَّه؛ فما هي معالم المنهج الذي سيأخذ بيد المسلمين إلى مستقبلهم الزاهر، وتقدمهم الباهر، وانتصارهم القاهر؟

عن حذيفة -رضي اللَّه عنه- قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء اللَّه أن تكون، ثم يرفعها اللَّه إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة؛ فتكون ما شاء اللَّه أن تكون، ثم يرفعها اللَّه إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضّاً، فيكون ما شاء اللَّه أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية؛ فتكون ما شاء اللَّه أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة»،ثم سكت[٢].

أ- إنه منهج على أثر صحابة رسول اللَّه ﷺ؛ يدل على ذلك جملة أمور:

الأول: أن مستقبل الإسلام يتحقق بإعادة الخلافة الراشدة واستئناف حياة إسلامية على منهاج النبوة.

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) صحيح لغيره- أخرجه أحمد والطيالسي والبزار.

الثاني: أن الذي حقق مجد الإسلام الأول هو الخلافة النبوية الراشدة.

الثالث: أن رسول اللَّه ﷺ أخبر بمجيء خلافة راشدة بعد النبوة وبأخرى مثلها على منهاج النبوة بعد الملك الجبري؛ فتبين أن مستقبل الإسلام كماضي الإسلام: ازدهاراً، وانتشاراً، وانتصاراً.

الرابع: أن الذي حقق الخلافة الراشدة الأولى هم أصحاب محمد ﷺ ومن تبعهم بإحسان... إذاً؛ فالذي يعيد الخلافة الراشدة على منهاج النبوة هم من كانوا على منهج السلف الصالح الصحابة الأبرار والتابعين الأخيار ومن تبعهم بإحسان.

ب- إنه منهج تربوي تجديدي إصلاحي، لا ثوري بدعي، ولا ترقيعي تمييعي؛ يدل عليه قوله ﷺ في حديث قتال المسلمين لليهود في آخر الزمان: «حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم، يا عبداللَّه»[1]؛ وذلك لأمور:

الأول: منهج الصحابة تربوي إصلاحي، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما أصلح أولها.

الثاني: إن خطاب الشجر والحجر للمسلم يدلُّ على أنه ثمرة منهج تربوي إصلاحي حقق عبودية اللَّه في الفرد والمجتمع.

الثالث: أن استخلاف المؤمنين والتمكين للدين ثمرة الإصلاح والتربية: ﴿وعد اللَّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾[النور: ٥٥].

---

(١) متفق عليه.

الرابع: أن اللَّه استخلف الماضين بالمنهج التربوي الذي يقوم على الصبر واليقين: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة: ٢٤]، ولذلك؛ فلن تنال الإمامة في الدين إلا بالصبر واليقين.

لقد ظهر لنا يقيناً ورأينا عياناً: أن المستقبل للإسلام؛ لكن بفهم السلف الكرام.

فهذا الحق ليس به خفاء فدعني من بُنَيَّاتِ الطريق

فيا مسلم يا عبداللَّه:

قد هيؤوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

... وآخر دعوانا أن الحمدُ للَّه ربِّ العالمين.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
فاتحة القول	٥
خذو الإسلام جملة	٧
الإسلام منهاج ومعجزة	١٣
مراحل تدوين العقيدة	١٦
التوثيق عن الله ورسوله	٢٧
التقليد والعقيدة	٣١
إن الحكم إلا لله	٣٨
ومن أحسن من الله حكماً	٤١
قراءة منهجية في أحاديث الخوارج	٤٣
الدعوة والفطرة	٤٧
الدعوة والنور	٤٩
منهج الدعوة السلفية في التغيير: التصفية والتربية	٥٤
السلفيون والسياسة	٧٤
ربّيون لا حزبيون	٨٣
بنيّات الطريق	٨٦
القابضون على الجمر	٨٩
غربة الإسلام	٩٢
فقه الابتلاء	١١٢
فقه النصيحة	١١٦
فقه الأخلاق	١١٩
مطلع الفجر في فقه الزجر بالهجر	١٢٣
الفقه الواقع	١٤٠

قضايانا الكبار..... ١٤٤
حصانة أهل العلم وطلابه..... ١٤٦
النكت الحسان في شكوى أهل الزمان..... ١٤٩
لماذا نخشى النقد؟..... ١٥٢
فقه الاستخلاف: آيته وغايته..... ١٥٧
وعد التمكين ويقين المؤمنين..... ١٦١
المستقبل للإسلام؛ لكن بفهم السلف الصالح..... ١٦٥
فهرس الموضوعات..... ١٦٩

إصدارات مكتبة الفرقان - عجمان

١- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل
تأليف فضيلة الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي
٢- براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدعة والمذمة
جمع الشيخ عصام السناني
٣- النصر العزيز في الرد على الوجيز حوار مع الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق
للشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي
٤- العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم
بقلم الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي
٥- جماعة واحدة لا جماعات - وصراط واحد لا عشرات
بقلم الشيخ د. ربيع بن هادي المدخلي
٦- الحد الفاصل بين الحق والباطل
بقلم الشيخ د. ربيع بن هادي عمير المدخلي
٧ - الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية
الشيخ أحمد بن يحيي النجمي ، تعليق حسن بن منصور الدغريري
٨ - الوسائل المفيدة للحياة السعيدة
العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله
٩- كشف الستارة عن صلاة الاستخارة وعلاقتها بالعقيدة الصحيحة المختارة
تأليف عبدالله بن محمد الحمادي
١٠- صفة صوم النبي صلى الله عليه وسلم
تأليف فضيلة الشيخ علي الحلبي وفضيلة الشيخ سليم الهلالي
١١- الجوهر الفريد في نهي الأئمة الأربعة عن التقليد
الشيخ فوزي بن عبد الله الأثري
١٢- أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره
بقلم الشيخ د. ربيع بن هادي عمير المدخلي
١٣- بصائر ذوي الشرف بشرح مرويات منهج السلف
الشيخ سليم بن عيد الهلالي
١٤- منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع
تأليف الشيخ الفاضل سليمان بن سحمان ، تحقيق: عبدالسلام بن برجس
١٥ - تنوير الظلمات بكشف مفاسد وشبهات الإنتخابات/ طبعة جديدة مزيدة منقحة
الشيخ محمد بن عبد الله الإمام - قدم له العلامة مقبل الوادعي
١٦- السراج الوهاج في بيان المنهاج
الشيخ أبو الحسن مصطفى بن اسماعيل السليماني
١٧- المطلب الأسنى من أسماء الله الحسنى مما ورد في السنة وليس في كتاب الله -
الشيخ عصام بن عبد المنعم المري
١٨- حجج الأسلاف في بيان الفرق بين مسائل الإجتهاد ومسائل الخلاف
الشيخ فوزي بن عبد الله الأثري
١٩ - الطريقة المثلى في الإرشاد إلى ترك التقليد واتباع ما هو الأولى- مع مقدمة مهمة في وجوب التزام فهم السلف لنصوص الكتاب والسنة تأليف: الطيب نور الحسن خان ابن محمد صديق خان - تحقيق أبو عبدالباري عبدالحميد بن أحمد العربي الأثري

٢٠- المحجة البيضاء في حماية السنة الغراء من زلات أهل الأخطاء وزيغ أهل الأهواء
تأليف فضيلة الشيخ العلامة الدكتور ربيع بن هادي عمير المدخلي
٢١ - القول المفيد في حكم الأناشيد - مع فتاوى لعلماء العصر : الألباني، ابن عثيمين ،.....
تأليف : الشيخ عصام بن عبدالمنعم المري
٢٢ - ماذا ينقمون من ابن باز رحمه الله ؟
د/ خالد بن علي بن محمد العنبري
٢٣ - القول المبرور في جواز الجماعة الثانية للمعذور
أبو إسحاق الدمياطي تقديم: أبو الحسن مصطفى السليماني
٢٤ - الدُّر الثَّمين في وجوب توقير العُلماء وطلبة العلم في الدين
تأليف الشيخ فوزي بن عبدالله الأثري
٢٥ - نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب
تأليف الشيخ العلامة د. ربيع بن هادي عمير المدخلي
٢٦ - الإرهاب وآثاره على الأفراد والأمم
تأليف: الشيخ العلامة د. ربيع بن هادي المدخلي - تقديم: العلامة صالح بن فوزان الفوزان ، العلامة علي بن محمد بن ناصر الفقيهي.
٢٧ - توضيح مقاصد المصطلحات العلمية في الرسالة التدمرية
د./ محمد بن عبدالرحمن الخميّس
٢٨ - نقض قول من تبع الفلاسفة في دعواهم أن الله لا داخل العالم ولا خارجه
د./ محمد بن عبدالرحمن الخميس
٢٩ - كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون
الشيخ محمد بن سعود العريفي ، مراجعة وتقديم الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين
٣٠ - طريق الوصول إلى إيضاح الثلاثة الأصول
الشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي ، جمع واعداد فواز بن علي بن علي المدخلي
٣١ - رسائل وتوجيهات في الأفراح الأعراس
جماعة من كبار العلماء
٣٢ - المدخل إلى الصحيح مع التكميل والتوضيح للمدخل إلى الصحيح١/٤ تأليف
فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي
٣٣ - تنوير العينين بأحكام الأضاحي والعيدين
الشيخ أبوالحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني
٣٤ - إتحاف النبيل بأجوبة أسئلة علوم الحديث والعلل والجرح والتعديل٢/١
الشيخ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني ، حققه : أبوإسحاق الدمياطي وقدم له العلامة مقبل الوادعي
٣٥ - كفاية الحفظة شرح المقدمة الموقظة في علم مصطلح الحديث
شرح الشيخ/ سليم بن عيد الهلالي السلفي
٣٦ - الجهد المبذول في تنوير العقول بشرح منظومة وسيلة الحصول ٢/١
الشيخ / زيد بن محمد بن هادي المدخلي
٣٧ - امداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري
فضيلة الشيخ العلامة عبيد بن عبدالله بن سليمان الجابري
٣٨ - الأزهار المنثورة في تبيين أن أهل الحديث هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة -
الشيخ فوزي بن عبدالله الأثري
٣٩ - الحكم بغير ما أنزل الله وأصول التكفير في ضوء الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة ويليه « هزيمة الفكر التكفيري » ومناقشة هادفة للكتاب ومقالة «المرجئة لا تقبلنا» د خالد

بن علي بن محمد العنبري ، قرأه وقرظه: العلامة الألباني وقدم له د. صالح السدلان
٤٠ - أحكام الأضحية في الكتاب والسنة
تاليف: الشيخ / أبي سعيد بلعيد بن أحمد
قدم له: الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط
٤١ - الوصايا السنية للتائبين إلى السلفية
الشيخ أبي عبدالله أحمد بن محمد الشحي
٤٢- صفة غسل النبي صلى الله عليه وسلم وأحكام الأغسال المشروعة
تاليف فضيلة الشيخ أبي سعيد بلعيد بن أحمد
قدم له : الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط
٤٣ - إنفرادات ابن عباس عن جمهور الصحابة في الأحكام الفقهية - "دراسة مقارنة" -
تاليف محمد سميعي سيد عبد الرحمن الرستاقي
٤٤ - المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال.
الشيخ أحمد بن يحيى النجمي ، قرظه الشيخ صالح الفوزان والشيخ ربيع بن هادي المدخلي
٤٥ - مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشيخ العلامة ربيع بن هادي عمير المدخلي
٤٦ - الأضواء الأثرية في بيان إنكار السلف بعضهم على بعض في المسائل الخلافية الفقهية /
دراسة أثرية علمية منهجية في أصول وقواعد وضوابط وآداب الخلاف في الفقه الإسلامي
الشيخ/ فوزي بن عبد الله بن محمد الأثري
٤٧ - تحفة الأخيار في تاليف قلوب الأبرار / دراسة أثرية علمية منهجية في أصول
وقواعد وضوابط وآداب الخلاف في الفقه الإسلامي
الشيخ / فوزي بن عبد الله بن محمد الأثري
٤٨ - نور البصائر والألباب في أحكام العبادات والمعاملات والحقوق والواجبات
الشيخ العلامة / عبدالرحمن بن ناصر السعدي تحقيق : خالد بن عثمان السبت.
٤٩ - الإيضاح والبيان في أخطاء طارق السويدان - ومعه فتاوي من هيئة كبار العلماء
- العلامة ابن باز ، العلامة ابن عثيمين ، العلامة عبدالمحسن العباد، العلامة صالح
الفوزان، والعلامة عبدالله القرعاوي ، الجزء الأول ، الجزء الثاني ، الجزء الأول
والثاني ، الشيخ أحمد بن عبدالعزيز بن محمد التويجري
٥٠ - الورد المقطوف في وجوب طاعة ولاة أمر المسلمين بالمعروف
تأليف الشيخ / فوزي بن عبدالله بن محمد الأثري ، قدم له الشيخ الدكتور صالح بن
فوزان الفوزان
٥١ - بريق المهو في أحكام سجود السهو
تأليف الشيخ أبو عبد الباري عبد الحميد بن أحمد العربي الجزائري
٥٢- كتاب في رؤية الله تبارك وتعالى
تأليف / ابن النحاس تحقيق د. محفوظ عبد الرحمن بن زين الله السلفي
٥٣- تعليق التحف على منظومة طرفة الطرف في مصطلح من سلف
الشيخ أحمد بن سيدي محمد الشنقيطي، حققه وهذبه وعلق عليه أبوالعالية المحسي.
٥٤ - التوضيحات الأثرية على متن الرسالة التدمرية
تأليف: أبي العالية المحسَي ، إشراف وتقديم محمد بن عبدالرحمن الخميّس
٥٥ - ست درر
تأليف: عبدالمالك بن أحمد بن المبارك رمضاني الجزائري
٥٦ - رسالة الارشاد إلى بيان الحق في حكم الجهاد
فضيلة الشيخ أحمد بن يحيي النجمي

تقريظ : الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ، والشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي
٥٧ - ذم التحزب والحزبيين
شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله
٥٨ - جماعة واحدة في الإسلام لا جماعات
المحدث العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله
٥٩ - هذه الجماعات من الاثنتين وسبعين فرقة
الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله ، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله ، الشخ صالح الفوزان حفظه الله ، الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله.
٦٠ - الجماعات الحزبية خنجر مسموم طعنت به أمة الإسلام
أ. د. الشيخ عبدالله الطيار
٦١ - انتبه لاتكن همجياً رعاعياً كأتباع الجماعات الحزبية الهمج الرعاع.
تعليقات الإمام ابن القيم والإمام الخطيب رحمهما الله
٦٢ - دعاة على أبواب جهنم
العلامة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله
٦٣ - مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية
تأليف: عبدالمالك بن أحمد المبارك رمضاني الجزائري
قرأه وقرظه : العلامة محمد ناصر الدين الألباني
والعلامة الشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد البدر
٦٤ - معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة
تأليف : الشيخ عبدالسلام بن برجس
٦٥ - العلماء يتولون تفنيد الدعاوي السياسية المنحرفة لعبدالرحمن عبدالخالق
كتبه : أبو أحمد السلفي
٦٦ - قاعدة جليله في التوسل والوسيلة لابن تيمية
تحقيق ودراسة : الدكتور الشيخ ربيع المدخلي
٦٧ - فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر
للشيخ : عبدالمالك بن أحمد بن المبارك رمضاني الجزائري
٦٨ - المعتقد الصحيح
للدكتور : عبدالسلام بن برجس العبدالكريم
٦٩ - الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتحذير من مفارقتهم
للدكتور : عبدالسلام بن برجس العبدالكريم
٧٠ - اللؤلؤ الثمين في توضيح العلاقة بين الحكام والمحكومين
فتاوى أصحاب الفضيلة العلماء : (١) عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
(٢) محمد بن ناصر الألباني - (٣) محمد بن صالح بن عثيمين
جمعه وأعده : أبو يوسف عبدالرحمن إمام الدين السلفي
قرضه : أبو عبدالباري بن عبدالحميد بن أحمد العربي
٧١ - قرة العيون في تصحيح تفسير عبدالله بن عباس رضي الله عنهما
تأليف: أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي
٧٢ - المقالات السلفية في العقيدة والدعوة والمنهج والواقع
كتبها: أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي الأثري

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الدعوة السلفية

١- الرجوع إلى القرآن العظيم والسنة النبوية الصحيحة وفهمهما على النهج الذي كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم، عملاً بقول ربنا جلّ شأنه: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ وقوله سبحانه: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا﴾

٢- تصفية ما علق بحياة المسلمين من الشرك على اختلاف مظاهره وتحذيرهم من البدع المنكرة والأفكار الدخيلة الباطلة وتنقية السنة من الروايات الضعيفة والموضوعة: التي شوهت صفاء الإسلام وحالت دون تقدم المسلمين أداء لأمانة العلم، وكما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» وتطبيقاً لأمر الله عز وجل ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾

٣- تربية المسلمين على دينهم الحق ودعوتهم إلى العمل بأحكامه، والتحلي بفضائله وآدابه، التي تكفل لهم رضوان الله، وتحقق لهم السعادة والمجد، تحقيقا لوصف القرآن للفئة المستثناه من الخسران ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ ولأمره سبحانه: ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾

٤- إحياء المنهج العلمي الإسلامي الصحيح في ضوء الكتاب والسنة، وعلى نهج سلف الأمة وإزالة الجمود المذهبي والتعصب الحزبي الذي سيطر على عقول كثير من المسلمين، وأبعدهم عن صفاء الأخوة الإسلامية النقية تنفيذاً لأمر الله جل وعلا ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم «وكونوا عباد الله إخوانا»

٥- عدم تهييج الناس وتحريضهم على حكامهم وإن جاروا - لا من فوق المنابر ولا غير ذلك - لأن ذلك خلاف هدي السلف الصالح، وامتثالاً لقول المصطفى ﷺ الذي يقول فيه (من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبديه علانية وليأخذ بيده، فإن سمع منه فذاك، وإلا كان أدى الذي عليه. حديث صحيح

٦- السعي نحو استئناف حياة إسلامية راشدة على منهج النبوة، وإنشاء مجتمع رباني، وتطبيق حكم الله في الأرض، انطلاقاً من منهج التصفية والتربية المبني على قوله تعالى ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾ واضعين نصب أعيننا قول ربنا سبحانه لنبيه ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون﴾ وتحقيقاً للقاعدة الشرعية «من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه»

هذه دعوتنا، ونحن ندعو المسلمين جميعاً إلى مؤازرتنا في حمل الأمانة التي تنهض بهم، وتنشر في الخافقين راية الإسلام الخالدة بصدق الأخوة، وصفاء المودة، واثقين بنصر الله وتمكينه لعباده الصالحين ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾

مكتبة الفرقان ت: ٧٤٤٤٣٥-٠٦ - فاكس: ٠٦/٧٤٢٤٠٩٤ - ص.ب: ٢٠٢٨٨ - عمان - أ ع.م.